مجموعة نقشجم العلميّة
إصدارة رقم «٨٧»

النَّفَحَاتُ القُدْسِيَّةُ
مِنَ الحَضْرَةِ العَبَّاسِيَّةِ
فِي شَرْحِ الصَّلَاةِ المَشِيشِيَّةِ

تأليف
السَّيِّد عبد الله الميرغني المحجوب
الحُسَيْنِي الحَنَفِي المَكِّي الطَّائِفِي
(١١١٩هـ - ١١٩٣هـ)
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

النفحات القدسية
من الحضرة العباسية
في شرح الصلاة المشيشية

تأليف

السيد عبد الله اليمرغني المحجوب
الحسيني الحنفي المكي الطائفي
(١١١٩هـ - ١١٩٣هـ)
رضي الله عنه

جمادى الأولى ١٤٤٧هـ - نوفمبر ٢٠٢٥م

يمكنكم مراسلتنا، عبر البريد الإلكتروني:
ngshjm@yahoo.com
أو عبر صفحة مجموعة نقشجم العلمية، على الفيسبوك:
facebook.com/ngshjm

تقديم

الحمدُ لله الذي أرسل سيدنا مُحمَّد رحمة للعالمين، والصلاة والسلام الدائمين عليه من رب العالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعدُ، لما كانت الصلاة على النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أعظم القربات والطاعات شرعَ العلماءُ العارفون والأولياء الصالحون إلى تآليف صلوات مباركات يتعبَّدون بها وعكفوا على حقائقها وفوائدها وذاقوا ثمار نتائجها، وأضحت لهم زلفى وقربى ووسيلة لوجه النبي الكريم.

فمنها صلاة القطب الفريد السيد عبد السلام ابن مشيش ذات الخير والبركة والمعاني الحقية السامية، وهذا الكتابُ شرحٌ لها لمولانا السيد عبد اللَّه الميرغني المحجوب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قام بشرحها شرحًا عرفانيًا أفاد فيها وأجاد، وتتطرَّق لمسائل العقيدة والتوحيد والذوق العرفاني وأوصافه وجماله وجلاله ودعوات مباركات، فأتى زاهٍ كرياضٍ مونقة، تُسقى بحياض من أنواره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المُتدفقة. ويليه فوائد جمَّة من الكتاب والسُّنَّة.

قامت "نقشجم العلميَّة" بخدمته من عدَّة نسخ مخطوطة وتحقيقه، فنسأل اللَّه تعالى أن ينفع بهذا الكتاب ويتقبله، ويجزي عنَّا مُصنِّفه وشارحه خير الجزاء، وصلَّى اللَّه على سيدنا محمد وعلى آله صلاةً تليق بك منك إليه كما هو أهله، والحمد لله رب العالمين.

مجموعة نقشجم العلمية – المدينة المُنوَّرة

الاثنين ١٩ جمادى الأولى ١٤٤٧هـ - ١٠ نوفمبر ٢٠٢٥م

منهج العمل وصُوَر من المخطوطات المستعان بها

قمنا بعون الله تعالى وتوفيقه بعَزْو الآيات القرآنية ووضعها بين قوسين مزهرين ﴿ ﴾ على الرسم الإملائي. وتخريج الأحاديث النبوية والآثار وعزوها إلى كتب السُّنَّة الشريفة، وعمل مقدمة وترجمة للسَّيِّدَيْن المُصنِّف والشارح، وترصيع الكتاب بعلامات الترقيم، وإفراد متن "الصَّلاة المشيشيَّة" لوحدها، وعزو أبيات الشعر لقائليها، وتمييز المتن داخل الشرح بين قوسَيْن وتحبيره بلونٍ وخطٍّ مختلفَيْن.

تَمَّ بتوفيق الله وفضله الحصول على عدَّة مخطوطات رقمية من مكتبات عديدة واعتمدنا أربع نُسخ خَطِيَّة -مُتقاربة نوعًا ما- وهي:

- نُسخة المكتبة المركزية بوزارة الأوقاف المصرية مكتبة السيدة زينب: المحفوظة بالرقم ١٦٢٧، ضمن مجموع، وقعت في ٣٩ ورقة، بخط نسخ ومُزيَّنة بالأحمر.
- نُسخة مكتبة الأزهر الشريف بمصر: المحفوظة بالرقم ٧١٥ مجاميع ٣٤٧٦٢ حليم، وقعت في ٣٩ ورقة (٤٢-٨٨)، بخط نسخ.
- نُسخة مكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود بالمملكة العربية السعودية: المحفوظ بالرقم: ٧٢٥١، ضمن مجموع وقعت في ٨٠ ورقة (٤٤-١٢٢) بخط مغربي مشكول بالأحمر، نُسخت بتاريخ ٧ جمادى الأولى ١٢٤٣هـ.
- نُسخة مكتبة دار إسعاف النشاشيبي بالقدس الشريف بفلسطين: المحفوظة بالرقم: ٦٢/٤٤٧م-ض، ضمن مجموع (٣٠٢ب-٣٣٤ب)، وقعت في ٤٧ ورقة، بخط نسخ، بها ثقوب أرضة قليلة، يتملَّكها محمد الجوهري.

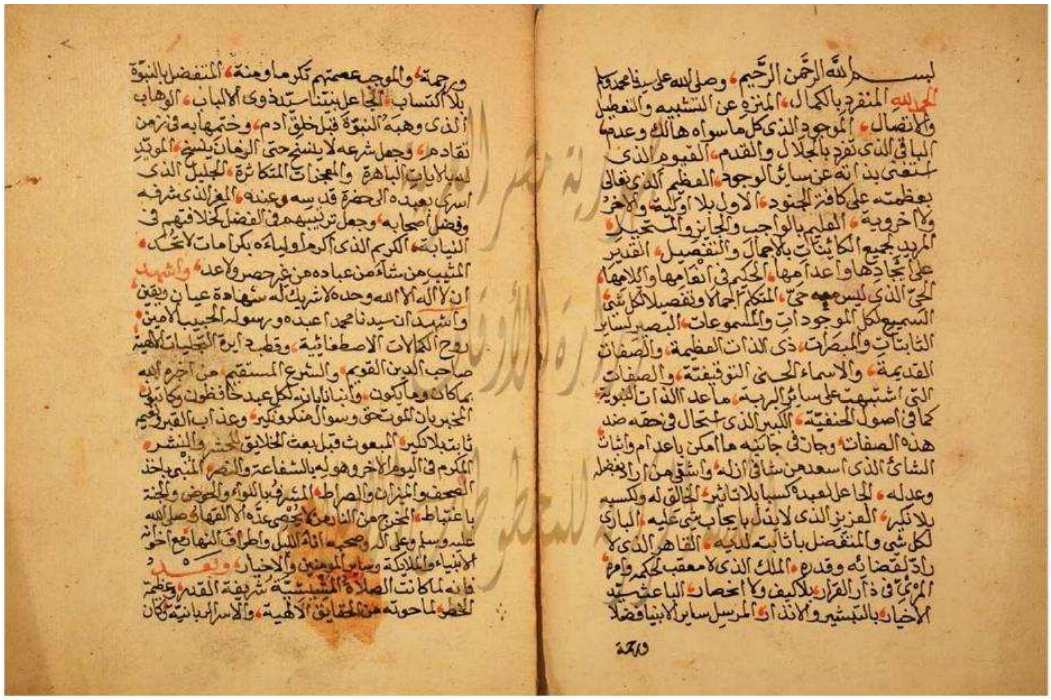

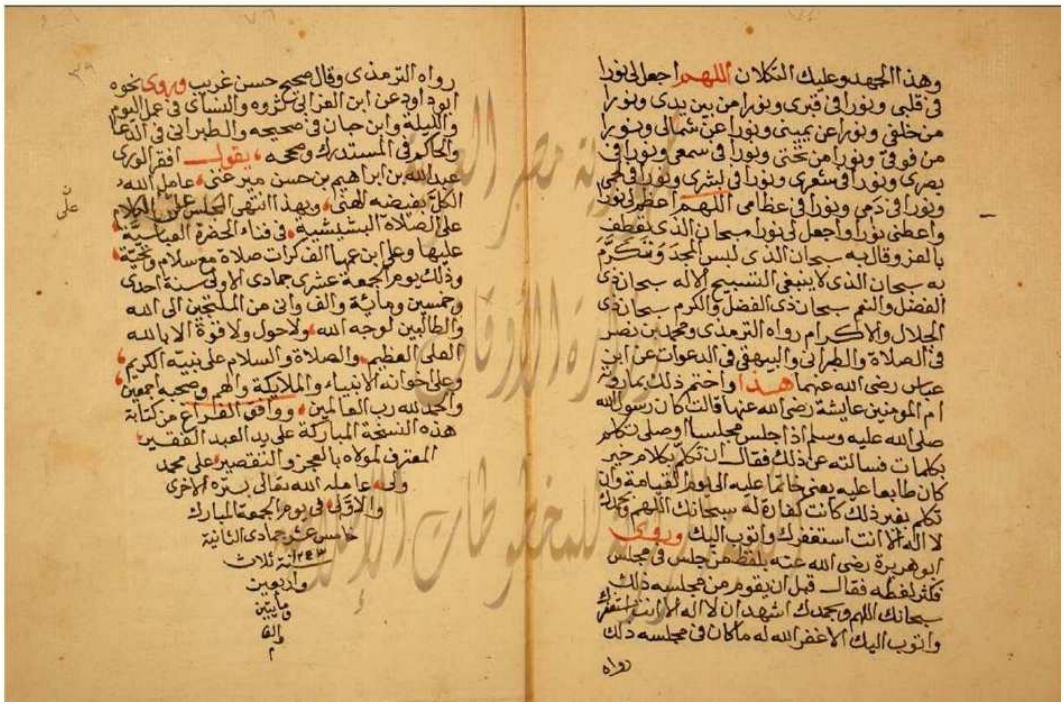

اللوحة الأولى والأخيرة من نسخة المكتبة المركزية بوزارة الأوقاف المصرية

مكتبة السيدة زينب - مصر

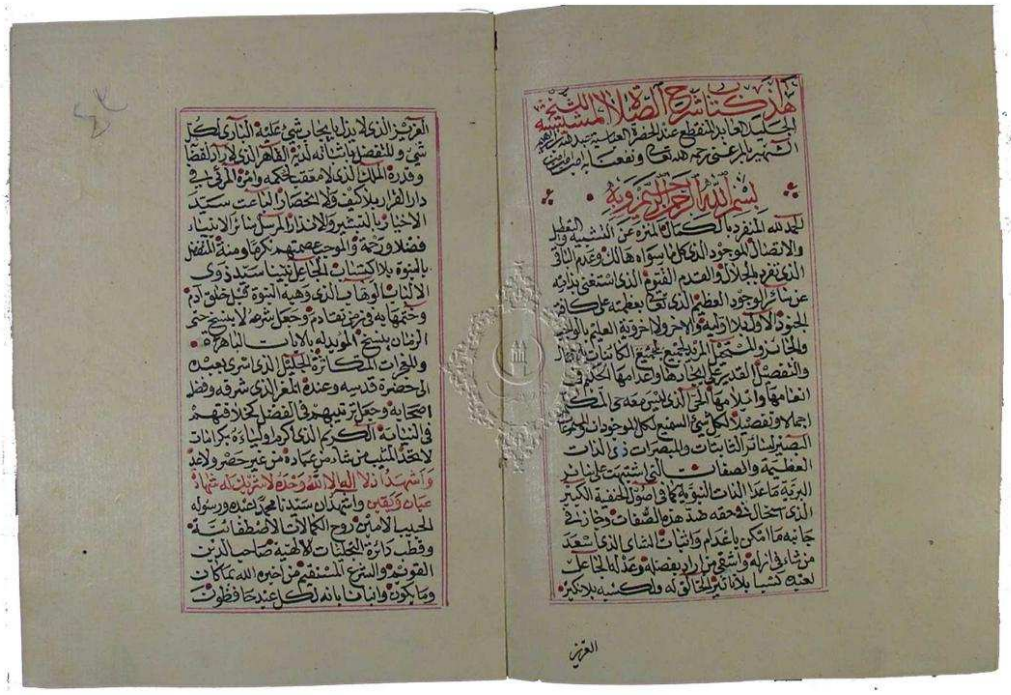

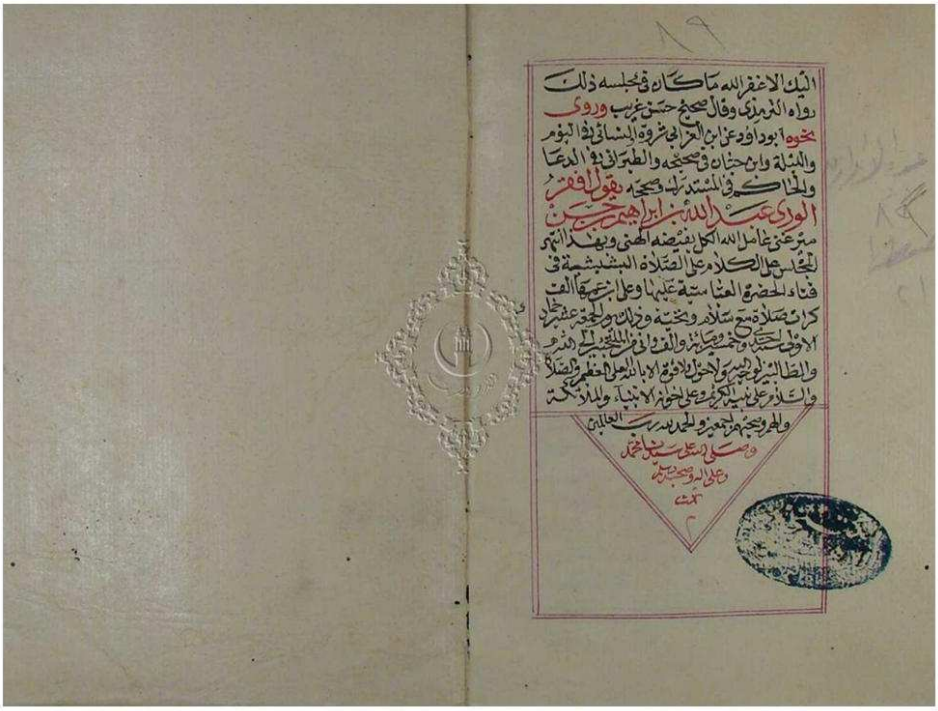

اللوحة الأولى والأخيرة من نسخة المكتبة الأزهرية - مصر

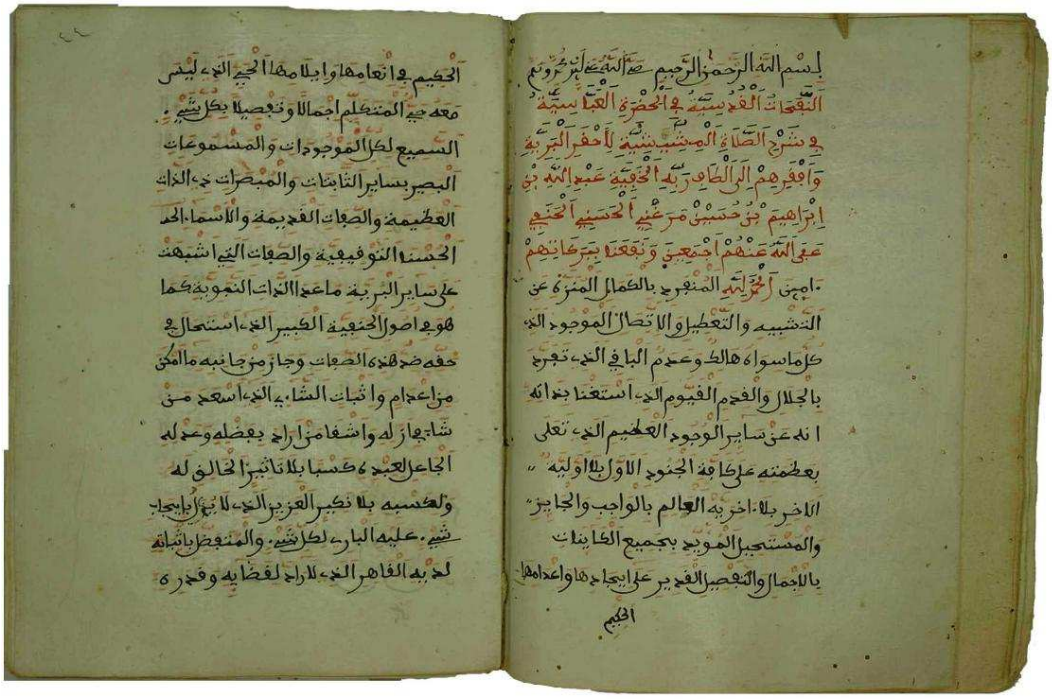

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وسلم
النفحات القدسية في الحضرة العباسية
في شرح الصلاة المشيشية لأحقر البرية
وأفقر هم الراجي ربه الحفي عبد الله بن
إبراهيم بن حسين مرعي الحسيني الحنبلي
عفى الله عنهم أجمعين ونفعنا ببركاتهم
آمين الحمد لله المنفرد بالكمال المنزه عن
التشبيه والتعطيل والاتصال الموجود الذي
كل ماسواه هالك وعدم الباقي الذي تفرد
بالجلال والقدم القيوم الذي استغنا بذاته
انه عن سائر الوجود العظيم الذي تعالى
بعظمته على كافة الجنود الأول بلا أولية
الآخر بلا آخرية العالم بالواجب والجايز
والمستحيل الموجد بجميع الكاينات
بالاجمال والتفصيل القدير على ايجادها واعدامها
الحكيم

الحكيم في انعامها وابلائها الحي الذي ليس
معه حي المنعلم اجمالا وتفصيلا بكل شيء
السميع لكل الموجودات والمسموعات
البصير بسائر الثابتات والمبصرات ذي الذات
العظيمة والصفات القديمة والأسماء الحسنى
الحسنا التوفيقية والصفات التي اشبهت
على سائر البرية ماعدا الذات النعوتية كما
هو في اصول الحنفية الكبير الذي استحال في
حقه ضد هذه الصفات وجاز من جانبه ما امكن
من اعدام واثبات الشاء الذي اسعد من
شاء بجاز له واشقا من اراد بعضله وعدله
الجاعل العبد كسبا بلا تاثيرا الخالق له
ولكسبه بلا تكبير العزيز الذي لا يرد ايجاد
شيء عليه البار لكل شيء والمنعط بانامله
لديه القاهر الذي لا راد لقضايه وقدره

والنعيم سبحانه ذي المجد والكرم سبحان
ذي الجلال والاكرام رواه الترمذي ومحمد بن نصر
في الصلاة والطبراني والبيهقي في الدعوات
عن ابن عباس رضي الله عنهما هذا وأختم
ذلك بما روته أم المومنين عايشة رضي الله
عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا جلس مجلسا أو صلى تكلم بكلمات فسالته
عن ذلك فقال ان تكلم بكلام خير كان طابعا
عليه بقية خاتما عليه الى يوم القيامة وان تكلم
بغير ذلك كانت كفارة له سبحانك اللهم
وبحمدك لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك
وروا ابو هريرة رضي الله عنه بلفظ من جلس في
مجلس فكثر لغطه فقال قبل ان يقوم من مجلسه
سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت
استغفرك واتوب اليك الا غفر الله له ما كان

في مجلسه ذلك رواه الترمذي وقال صحيح حسن
غريب وروا نحوه ابو داود عن ابي برزة والنسا
في عمل اليوم والليلة وابن حبان في صحيحه والطبراني
في الدعا والحاكم في المستدرك وصححه يقول
افقر الورا عبد الله بن ابراهيم بن حسين مبرعي
عامله الله الجل بفيضه الهني وبهذا انتهى
المجلس في الكلام على الصلاة المشيشية في
فنا الحضرة العباسية عليها وعلى ابن عمها
الف صلوات صلاة مع سلام وتحيات وذلك يوم
الجمعة عشرين من جماد الاولى سنة ١١٥١
الف ومايه واحد وخمسين وانا من المتلجين
الى الله والطالبين لوجه المولا حرر ولا قوة
الا بالله العلي العظيم والصلاة والسلام على
نبيه الكريم وعلى اخوانه الانبيا والملايكة
وانبهم وحبهم اجمعين والحمد لله رب العالمين

اللوحة الأولى والأخيرة من نسخة مكتبة جامعة الملك سعود - السعودية

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نثق
الحمد لله المنزه بالكمال، المنزه عن التشبيه والتعطيل
والانتقال، الموجود الذي كل ما سواه هالك وعدم، الباقي
الذي تفرد بالجلال والقدم، القيوم الذي استغنى بذاته
عن سائر الوجود، العظيم الذي تعالى بعظمته على كافة الخلق
الأول بلا اولية، والآخر ولا اخرية، العليم بالواجب والجايز
والمستحيل، المريد لجميع الكاينات بالاجمال والتفصيل، القدير
على ايجادها واعدامها، الحكيم في انعامها وايلامها، الحي الذي
ليس معه حي، المتكلم اجمالا وتفصيلا بكل شيء، السميع لكل
الموجودات والمسموعات، البصير بسائر الكاينات والمبصرات
ذي الذات العظيمة، والصفات القديمة، والاسماء الحسنى
التوفيقية، والصفات التي اشتهت على سائر البرية ماعدا
الذات النبوية كما في اصول الحنفية، الكبير الذي استحال في حقه
ضد هذه الصفات، ويجز بجانبه ما امكن باعدام واثبات
الشاكر الذي اسعد من شاء في ازله واشقى من اراد بفضله
وعدله، الجاعل لعبده كسبا للتاثير الخالق له وكسبه للتكبر
العزيز الذي لا يذل بايجاب شيء عليه، البارى لكل شيء والمتفضل
باثباته لديه، القاهر الذي لا راد لقضايه وقدره، الملك الذي
لا معقب لحكمه وامره، المرجي في دار القرار بلا كيف ولا
احضار، الباعث سيد الاخبار بالتبشير والانذار المرسل
سائر الانبياء فضلا ورحمة، والموجب عصمتهم تكرما ومنة

التفضل

التفضل بالنبوة بلا اكتساب، الجاعل نبينا سيد ذوي الالباب،
الوهاب الذي وهبه النبوة قبل خلق آدم، وبنيها به في زمن تقادم
وجعل شرعه لتنسخ حتى الزمان بنسخ، الموحد له بالايات
الباهرة، والمعجزات المتكاثرة، الجليل الذي اسرى بعبده، الى حضرة
ذاته وعنده، المعز الذي شرفه وفضل اصحابه، وجعل ترتيبهم في
الفضل كعلو قدرهم في النيابة، الكريم الذي اكرم اولياءه كرامات لا تحد
المنيب من شاء من عباده من غير حصر ولا عد، واشهد
ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة عيان ويقين،
واشهد ان محمدا عبده ورسوله الحبيب الامين، روح الكمالات
الاسطفائية، وقطب دايرة التجليات الالهية، صاحب الدين القويم
والشرع المستقيم من اخبره الله بما كان وما يكون، وانبانا بانه
لكل عبد حظوظ وكائنون، المخبر بان الموت حق وسوال منكر ونكير،
وعذاب القبر ونعيمه ثابت بلا نكير، المبعوث قبل الخلايق للمحشر
والنشور المكرم في اليوم الآخر وهو له بالشفاعة والنصر، المنبئ
باخذ المحسن والميزان والصراط، المشرف بالقوا والحوض والجنة
باغتباط، المخرج من النار من لا يحصى عدده الا الديان، صلى الله
عليه وسلم وعلى اله واصحابه اولي الليل واطراف النهار، مع اخوانه
الانبياء والملايكة، وسائر المومنين والاخيار، وبعد
فانه لما كانت الصلاة المشيشية شريفة القدر عظيمة الخطر
لما حوته من الحقايق الالهية، والاسرار الربانية، وكان يتردد في
الخاطر القاصر سنين ان اشرحها شرحا مبينا لحقيقة مرامه

من بين يدي ونورا من خلفي ونورا عن يميني ونورا عن
شمالي ونورا من فوقي ونورا من تحتي ونورا في سمعي
ونورا في بصري ونورا في شعري ونورا في بشري
ونورا في لحمي ونورا في دمي ونورا في عظامي اللهم
اعظم لي نورا واعطني نورا واجعل لي نورا سبحان
الذي تعطف العز وقال به سبحان الذي لبس المجد
وتكرم به سبحان الذي لا ينبغي التسبيح الا له سبحان
ذي الفضل والنعم سبحان ذي المجد والكرم سبحان ذي
الجلال والاكرام رواه الترمذي ومحمد بن نصر في
الصلاة والطبراني والبيهقي في الدعوات عن ابن
عباس رضي الله عنهما هذا واختم ذلك
بما روته ام المومنين عايشة رضي الله تعالى عنها قالت كانت
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جلس مجلسا او صلى
تكلم بكلمات فسالته عن ذلك فقال ان تكلم بكلام
خير كان طابعا عليه يعني خاتما عليه الى يوم القيامة
وان تكلم بغير ذلك كانت كفارة له سبحانك اللهم
وبحمدك لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك
وروى ابو هريرة رضي الله عنه بلفظ من جلس في مجلس
فكثر فيه لغطه فقال قبل ان يقوم من مجلسه ذلك
سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت
استغفرك واتوب اليك الا غفر الله له ما كان في مجلسه

ذلك

رواه الترمذي وقال صحيح حسن غريب وروى نحوه
ابو داود عن ابي برزة والنسائي في عمل اليوم والليلة وابن
حبان في صحيحه والطبراني في الدعاء والحاكم في المستدرك
وصححه يقول افقر الورى عبد الله بن ابراهيم بن
حسن مرعشي عامله الله الكل بلطفه الجلي، وبهذا
انتهى المجلس في الكلام على الصلاة المشيشية في فنا
الحضرة العباسية عليها وعلى ابن عمها الاف كرات صلاة
مع سلام وتحية، وذلك يوم الجمعة عشرين من جمادي اول
سنة الف ومايه واحد وخمسين، واني من المعترفين
والطالبين الى الله الرحيم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي
العظيم والصلاة والسلام على نبيه الكريم وعلى اخوانه
والملايكة واتباعهم وجميعهم اجمعين والحمد لله رب العالمين
وتم نسخ هذا الشرح الشريف على يد العبد
الفقير الحقير الضعيف غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين
وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة
الا بالله العلي العظيم وصلى
الله على سيدنا محمد وعلى اله
وصحبه وسلم تسليما
والحمد لله رب
العالمين

اللوحة الأولى والأخيرة من نسخة مكتبة دار إسعاف النشاشيبي بالقدس الشريف - فلسطين

ترجمة صاحب "الصلاة المشيشيَّة"

السيد عبد السلام بن مشيش

هو الشيخُ الإمامُ، العارفُ الواصلُ، الوليُّ الكبير، والقطبُ الشهيدُ، شمسُ زمانه، وفريدُ عصره وأوانه، إمام أهل المغرب، سيدنا ومولانا أبو محمد، عبد السلام بن مشيش -وقيل ابن بشيش- بن أبي بكر منصور بن علي الإدريسي الحسني المغربي. جده مولانا إدريس دفين فاس، وأيضًا جده مولانا إدريس فاتح المغرب، ونسبه إلى مولانا عبد الله الكامل بن مولانا الحسن المثنى بن مولانا الحسن السبط، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

وُلِد سنة ٥٥٩هـ -١١٩٨م في منطقة جبل العلم القريبة بتطوان بشمال المغرب. وقد ظهرت عليه بوادر الصلاح والتقوى منذ صباه فحفظ القرآن الكريم بالروايات السبع وهو ابن الثانية عشرة، وقضى في سياحته أكثر من خمسة عشرة سنة، وهو الذي أنواره منذ كان في المهد صبيًا، ثم طوى في السياحة في صباه الأرض طيًّا، دَرَس وتَعلَّم على يد كبار العلماء والشيوخ، من بينهم الولي الصالح سليم شيخه في القرآن، والفقيه العلَّامة أحمد الملقب بأقطران شيخه في العلوم الشرعية، ثم شيخه في التربية والسلوك العارف بالله عبد الرحمن بن الحسن الشريف العطار المدني الشهير بالزيات، الذي أخذ عنه الطريقة، وشرب من يده عوالم الحقيقة.

وكان عالمًا فاضلًا، ومتصوفًا عارفًا، وعابدًا من الصادقين، أفنى حياته في الخلوة والعبادة والزهد، فكان رضي الله عنه في العلم في الغاية، وفي الزهد في النهاية، جمع الله له الشرفين الطيني والديني، وأحرز الفضل المحقق اليقيني، حيث كان متمسكًا بالكتاب والسُّنة، عاملًا بهما، ملتزمًا لهما. وأما علو قدره وجلالة منصبه فذلك أمر شهير، وقد تغلغل في علوم القوم التي مدارها التخلُّق

بأخلاق النَّبِي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

ولقد خلف من أسرار المعاني والمعارف الربانية، التي فتح الله بها عليه، ما أبقاه قطبًا منفردًا في زمانه، وشيخًا جليلًا في حبه وفنائه، ذو كرامات عجيبة، ووصايا جليلة، فمن أكبر تلك الكرامات المعنوية: تلميذه الشيخ أبو الحسن الشاذلي، الذي بصحبته ووصاياه له، أصبح من بعده مؤسس وشيخ الطريقة الشاذلية، المُنتشرة في العالم الإسلامي، والتي اتبعها العديد من المريدين، منذ ذاك العهد إلى يومنا هذا.

ولقد ترك لتلميذه ووارث سره إرثًا ثمينًا تجلَّى في وصايا نفيسة، شأنها شأن وصايا لقمان لابنه، حيث شكّلت مهد الطريقة الشاذلية، وشعلتها الأولى، يقول على لسان تلميذه: "يا عليُّ، اللَّه اللَّه، والناس الناس، عليك بحفظ الجوارح، وأداء الفرائض، وقد تمت ولاية اللَّه عندك".

وقال له أيضًا: "لا تنقل قدميك إلا حيث ترجو ثواب اللَّه، ولا تجلس إلا حيث تأمن غالبا من معصية اللَّه، ولا تصحب إلا من تستعين به على طاعة اللَّه، ولا تصطفي لنفسك إلا من تزداد به يقينًا وقليل ما هم".

وقال: "أفضل الأعمال أربعة، بعد أربعة، المحبة للَّه، والرضا بقضاء اللَّه، والزهد في الدنيا، والتوكل على اللَّه، هذه أربعة، وأما الأربعة الأخرى، فالقيام بفرائض اللَّه، والاجتناب لمحارم اللَّه، والصبر عما لا يعني، والورع من كل شيءٍ يلهي".

ولعل من بين أعظم آثار مولانا ابن مشيش الدينية صلاته المعروفة بـ"الصلاة المشيشية"، فهي جوهرةُ طريقه الفريدة، وأكبر بصمة تركها خالدة بعد مماته، وهي عبارة عن نصٍّ فريدٍ من بين التصليات التي سجلها أدب التصوف منذ أواخر القرن السادس الهجري حتى الآن في عباراته المنتقاة، ومعانيه الراقية،

تنساب فيه العبارات في رقة وعذوبة، محملة بدفق الإيمان وصفاء المحبة، التي ما إن تخالطها الروح وتستعذبها المسامع، حتى تحلّق بصاحبها في أجواء من السمو، وملكوت الجمال، لأنه صادر عن عالم عارف، وبليغ أريب. لقد اُشتهرت بجمال معناها، وجلال مبناها، حيث عكف كثير من العلماء على شرحها وإيضاحها، وتوالت شروحها على يد علماء أجلاء من المغرب والمشرق.

تُوفي رَحِمَهُ اللَّهُ شهيدًا سنة ٦٢٢هـ -١٢٢٥م، قتله قومٌ بعثهم لقتله ابن أبي الطواجين الكتامي الساحر المُتنبي لما تصدَّى لدعوته الضالة. وتُوفي رضي اللَّه عنه بجبل العلم، وهو جبل مرتفعٌ كان معبده ومكان خلوته، رَحِمَهُ اللَّهُ ونفعنا بسيرته ووصاياه وحكمه.

ترجمة الشارح

السيد عبد اللّه الميرغني المحجوب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

هو العلَّامة المحقق، الحجة المدقق، والمحدث الفقيه الأصولي الأديب، أبو السيادة، عفيف الدين، السيد عبد اللَّه بن السيد إبراهيم بن السيد حسن بن السيد مُحَمَّد أمين بن السيد علي ميرغني، الحسيني المكي الحنفي. ينتهي نسبه الشريف إلى سيدنا الحُسين بن سيدنا علِيّ بن أبي طالب وابن سيدة نساء العالمين وبضعة سيد المرسلين، سيدتنا السيدة فاطمة الزهراء بنت سيدنا مُحَمَّد رسول اللَّه، رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا.

ولد بمكة المكرمة عام ١١١٩هـ، وبها نشأ وتربى في كنف أسرته الكريمة، التي عرفت بين أهل مكة بالعلم والورع، فحفظ القرآن الكريم في حال صباه، وعكف على تحصيل العلم، فأخذ عن والده السيد إبراهيم وجده السيد حسن مبادئ العلوم الدينية واللغوية، كما أخذ عن عمه السيد مُحَمَّد أمين صاحب التصانيف المفيدة، في الفقه والحديث، المتوفى عام ١١٦١هـ.

وممن تلقى عنهم بمكة المكرمة: الشيخ النخلي الشافعي، وعبد اللَّه بن سالم البصري، وعبد الكريم بن خضر الهندي والقاضي تاج الدين القلعي، الذي درس الكتب الستة بالمسجد الحرام، ومُحَمَّد صلاح الدين البرسلي، وتاج الدين الدهان. ثم اجتمع بقطب زمانه، السيد يوسف المهدلي، فانتسب إليه ولازمه.

وقد عاش السيد المحجوب باكر حياته بمكة المكرمة، بين التدريس والإرشاد إلى طريق الرشاد، ثم انتقل إلى الطائف، ونزل بقرية السلامة، وذلك إثر فتنة جرت بمكة المكرمة، فآثر الابتعاد. وعكف السيد المحجوب على نشر العلم وتربية المريدين، وحمل لواء السنة المُحَمَّدية، داعيا إلى اللَّه بحاله ومقاله, فعاش مهابا عزيزا في ذاته، موقرا للعلم وأهله. قال عنه تلميذه مرتضى الزبيدي: ووفد

إليه العارفون فوجا فوجا، وصار يترقى إلى مصاعد المجد الأعلى أوجا أوجا.

من أبرز تلاميذه: ابناه السيد مُحَمَّد أبي بكر الميرغني، والسيد مُحَمَّد يس الميرغني، ومُحَمَّد مرتضى الزبيدي، وإبراهيم الزمزي، ومُحَمَّد بن زين بالحسن التريمي، ومُحَمَّد بن أحمد الشهير بابن الجوهري، وتاج الدين بن مُحَمَّد سراج ناسخ مخطوطاته، وكتب له مناقبًا، وغير هؤلاء خلق كثيرون.

احتجب بداره ثلاثين سنة، وقد كانت العزلة عن الناس مفتاحا للمعرفة والعبادة والتفكر والاطلاع والتأليف. وقد أثمرت فترة العزلة، بين العلم وضروبه، نتاجا عظيما من المؤلفات الجامعة المفيدة، التي نافت عن الثمانين مؤلفا، اهتم في جلها بتربية المريدين على النهج الصوفي، كما هدفت مؤلفاته إلى إرشاد العامة، وتعريفهم بأصول العقائد والفقه، وأساس السلوك إلى اللَّه تعالى، لا سيما وله طريقة موصلة إلى اللَّه تعالى، وهي الطريقة الميرغنية.

من مؤلفاته: الإيضاح المبين بشرح فرائض الدين، والأربعين حديث، والأسئلة النفسية والأجوبة القدسية، والأنفاس القدسية في بعض مناقب العباسية، والبشائر الحاتمة بأسباب حسن الخاتمة، والتحفة الظريفة في الصلاة على الحضرة الشريفة، والتوسلات الإلهية في الخلوات السمرية والجلوات السحرية، والجواهر الشفافية في بعض مناقب السيدة الصديقية، والجواهر اللمعة في فضائل الجمعة، والجوهرة النقطة في أن الكون نقطة، والدرة اليتيمة في بعض فضائل السيدة العظيمة، والزهر الفائق في الدقائق والرقائق، والسر العجيب في مدح الحبيب، والسلام والدعاء عند زيارة الحبر ابن عباس، والسهم الداحض في نحر الروافض، والعقد المنظم على حروف المعجم، والفيوض الإلهية في الصلاة على خير البرية، والكوكب الثاقب، واللآلي المفردات في أذكار عرفات، والمعجم الوجيز من أحاديث الرسول العزيز، والمقاصد الفخرى في مناقب

السيدة خديجة الكبرى، والمنن الكبرى من اللَّه في بعض فضائل لا إله إلا اللَّه، والموجز العزيز على المعجم الوجيز، والنسمات الأنسية في الأحاديث القدسية، والنفحات القدسية شرح الصلاة المشيشية، والنفحة العنبرية من المشكاة النبوية في آداب المعية، وإتحاف الحلفاء في مناقب الخلفاء، وإتحاف السعداء بمناقب سيد الشهداء، وأربعون حديثا في النكاح، وأربعون حديثا في الوصايا، وبحر العقائد منظومة في أصول الدين، وتحريض الأغبياء على الاستغاثة بالأنبياء والأولياء، وتنبيه الحق في حين الفرق، وجوامع الكلمات في تضمين الأحاديث الحكميات، وجوذاب القلوب لذكر علام الغيوب، وحاشية على جمع الفوائد، وحكم و معارف وأسرار ولطائف، وذات الجنب في معنى الذنب، ورسالة في جواب الاستفتاء عن هدم قبر أبي طالب وإسلامه أو عدمه، وزهر الرياحين من رياض الصالحين، وسباعيات الحكم، وسلاسة السلسبيل من مربى الزنجبيل، وسواد العينين في شرف النسبين، وشرح أبيات لابن عربي، وعدة الإنابة في أماكن الاجابة، وغاية الفوز والفلاح في أذكار المساء والصباح، وفرائض الدين وواجبات الإسلام لعامة المسلمين، وكنز الفوائد شرح بحر العقائد، ومجالي الأصول لمراقي الوصول، ومختصر المنتهيات، ومراقي الوصول إلى معالي الرسول، ومشارق الأنوار في الصلاة على النبي المختار، ومشكاة الأنوار في سيرة النبي المختار، ومعراج السلوك إلى ملك الملوك، ومنهاج الملوك إلى معراج السلوك، ونقطة نقط التحقيق في بيان مقالة الصديق، والبدر المنير، والتحفة المغطاة من الرحمة المعطاة، والتيسير في إثبات التدبير، والجوهر العالي في توحيد الغالي، والحكم الكبرى، والدر المتلاليء في توحيد المتعالي، و الدر المنثور في مناقب الخلفاء أولي البيت المعمور، والدر النظيم في توحيد العظيم، والروض الأمثل من المعنى الأول، والسر الأعظم في الصلاة على النبي الأكرم،

والسفينة الصغيرة، والسفينة الكبيرة، والفروع الجوهرية في الأئمة الإثنى عشرية، والمراسلات المرغنية بين أحباب الغنية، والنجادة في الولادة، وإتحاف المتقين بمناقب المجتهدين، وإتحاف المجالس في نزهة الجالس، وإيضاح المقصود في تحقيق الشهود، وتدقيق التلوين في تحقيق التكوين، وتسلية الكبد الحراء بذكر أكباد فاطمة الزهراء، وتشطير إنما الكون ضياء، وجامع الشتات في ما تفرق من الأبيات، وجواهر القلائد لقانص الفوائد، ورفع الحاجب عن الكوكب الثاقب، وسلسبيل الخلان، وكشف الغطا عن زمن أهل الخطا، ولمع برق الألمعية على بيتي المعية، ومختصر لصحيح البخاري، ومناقب سيدنا عثمان بن عفان، ومنتهى السير في الاختصار.

توفي رَضِيَ اللَّه عَنْهُ بالطائف ليلة الجمعة، لثلاث خلون من عاشوراء، عام ١١٩٣هـ، ودفن بمسجده الملحق بداره، بعد أن حفر قبره وهيّأه، وختم فيه القرآن سبعة آلاف ختمة.

الصلاة المشيشيَّة

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مَنْ مِنْهُ انْشَقَّتِ الأَسْرَارُ، وَانْفَلَقَتِ الأَنْوَارُ، وَفِيهِ ارْتَقَتِ الْحَقَائِقُ، وَتَنَزَّلَتْ عُلُومُ آدَمَ فَأَعْجَزَ الْخَلاَئِقِ، وَلَهُ تَضَاءَلَتِ الْفُهُومُ، فَلَمْ يُدْرِكْهُ مِنَّا سَابِقٌ وَلاَ لاَحِقٌ، فَرِيَاضُ الْمَلَكُوتِ بِزَهْرِ جَمَالِهِ مُونِقَةٌ، وَحِيَاضُ الْجَبَرُوتِ بِفَيْضِ أَنْوَارِهِ مُتَدَفِّقَةٌ، وَلاَ شَيْءَ إِلَّا وَهُوَ بِهِ مَنُوطٌ، إِذ لَوْلاَ الْوَاسِطَةُ لَذَهَبَ كَمَا قِيلَ الْمَوْسُوطُ، صَلاَةً تَلِيقُ بِكَ مِنْكَ إِلَيْهِ كَمَا هُوَ أَهْلُهُ، اللَّهمَّ إِنَّهُ سِرُّكَ الْجَامِعُ الدَّالُ عَلَيْكَ، وَحِجَابُكَ الأَعْظَمُ الْقَائِمُ لَكَ بَيْنَ يَدَيْكَ، اللَّهُمَّ أَلْحِقْنِي بِنَسَبِهِ وَحَقِّقْنِي بِحَسَبِهِ، وَعَرِّفْنِي إِيَّاهُ مَعْرِفَةً أَسْلَمُ بِهَا مِنْ مَوَارِدِ الْجَهْلِ، وَأَكْرَعُ بِهَا مِنْ مَوَاهِبِ الْفَضْلِ، وَاحْمِلْنِي عَلَى سَبِيلِهِ إِلَى حَضْرَتِكَ حَمْلاً مَحْفُوفاً بِنُصْرَتِكَ، وَاقْذِفْ بِيَ عَلَى الْبَاطِلِ فَأَدْمَغَهُ، وَزُجَّ بِي فِي بِحَارِ الأَحَدِيَّةِ، وَانْشُلْنِي مِنْ أَوْحَالِ التَّوْحِيدِ، وَأَغْرِقْنِي فِي عَيْنِ بَحْرِ الْوَحْدَةِ، حَتَّى لاَ أَرَى وَلاَ أَسْمَعَ وَلاَ أَجِدَ وَلاَ أُحِسَّ إِلّا بِهَا، وَاجْعَلِ اللَّهُمَّ الْحِجَابَ الأَعْظَمَ حَيَاةَ رُوحِي، وَرُوحِهِ سِرَّ حَقِيقَتِي، وَحَقِيقَتِهِ جَامِعَ عَوَالِمِي، بِتَحْقِيقِ الْحَقِّ الأَوَّلِ، يَا أَوَّلُ يَا آخِرُ يَا ظَاهِرُ يَا بَاطِنُ، اسْمَعْ نِدَائِي، بِمَا سَمِعْتَ نِدَاءَ عَبْدِكَ زَكَرِيَّا، وَانْصُرْنِي بِكَ لَكَ، وَأَيِّدْنِي بِكَ لَكَ، وَاجْمَعْ بَيْنِي وَبَيْنَكَ، وَحُلْ بَيْنِي وَبَيْنَ غَيْرِكَ، اللَّه اللَّه اللَّه، ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ

إِلَى مَعَادٍ﴾، ﴿رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ ثَلاثًا، ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾، صَلَواتُ اللَّه تَعَالَى، وسَلامُهُ وَتَحياتُهُ وَرَحْمَتُهُ وَبَرَكاتُهُ، عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَنَبِيِّكَ وَرَسُولِكَ، النَّبِيِّ الأُمِّيِّ، وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ، عَدَدَ الشَفْعِ وَالوَتْرِ، وَعَدَدَ كَلِماتِ رَبِّنا التَّامَّاتِ المُبَارَكَات، ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

[مقدمة الكتاب]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ

الحمدُ للَّه المنفرد بالكمال، المُنزَّه عن التشبيه والتعطيل والاتصال، الموجود الذي كل ما سواه هالك وعدم، الباقي الذي تفرَّد بالجلال والقدم، القيوم الذي استغنى بذاته عن سائر الوجود، العظيم الذي تعالى بعظمته على كافة الجنود، الأول بلا أولية، والآخر بلا أخروية، العالم بالواجب والجائز والمستحيل، المؤيد بجميع الكائنات بالإجمال والتفصيل، القدير على إيجادها وإعدامها، الحكيم في إنعامها وإيلامها، الحيّ الذي ليس معه حيّ، المُتكلِّم إجمالاً وتفصيلاً بكل شيء، السميع لكل الموجودات والمسموعات، البصير بسائر الثابتات والمبصرات، ذي الذات العظيمة والصفات القديمة، والأسماء الحسنى التوقيفية، والصفات التي اشتبهت على سائر البرية، ما عدا الذات النبوية كما في أصول الحنفية، الكبير الذي استحال في حقِّه ضِدّ هذه الصفات، وجاز من جانبه ما أمكن بإعدام وإثبات، الشائي الذي أسعد من شاء في أزله، وأشقى من أراد بفضله وعدله، الجاعل لعبده كسبًا بلا تأثير، الخالق له ولكسبه بلا نكير، العزيز الذي لا يزلّ بإيجاب شيء عليه، البارئ لكل شيء، والمُتفضّل بإثابته لديه، القاهر الذي لا رادّ لقضائه وقدره، الملك الذي لا معقب لحكمه وأمره، المرئي في دار القرار، بلا كيف ولا انحصار، الباعث سيد الخيار بالتبشير والإنذار، المُرسِل سائر الأنبياء فضلاً ورحمة،

والموجب عصمتهم تكرُّمًا ومِنَّة، المُتفضِّل بالنبوة بلا اكتساب، الجاعل نبينا سيد ذوي الألباب، الوهَّاب الذي وهبه النبوة قبل خلق آدم، وختمها به في زمن تقادم، وجعل شرعه لا ينسخ، حتى الزمان ينفسخ، المؤيد له بالآيات الباهرة، والمعجزات المتكاثرة، الجليل الذي أسرى بعبده إلى حضرة ذاته وعنده، المعزّ الذي شرَّفه وفضَّل أصحابه، وجعل ترتيبهم في الفضل كخلافتهم في النيابة، الكريم الذي أكرم أولياءه بكرامات لا تحدّ، المُثيب مَنْ شاء من عباده من غير حصر ولا عدّ.

وأشهدُ أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، شهادة عيان ويقين، وأشهدُ أن محمدًا عبده ورسوله الحبيب الأمين، روح الكمالات الاصطفائية، وقطب دائرة التجليات الإلهية، صاحب الدين القويم والشرع المستقيم، مَنْ أخبره اللَّه بما كان وما يكون، وأنبأنا بأنه لكل عبد حافظون وكاتبون، المُخبر بأن الموت حق، وسؤال منكر ونكير، وعذاب القبر ونعيمه ثابتٌ بلا نكير، المبعوث قبل بعث الخلائق للحشر والنشر، المكرَّم في اليوم الآخر وهو له بالشفاعة والنصر، المُنبئ بأخذ الصحف والميزان والصراط، المُشرَّف باللواء والحوض والجنة باغتباط، المُخرِج من النار مَنْ لا يحصي عدَّهُ إلا القهَّار، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلى آله وصحبه آناء الليل وأطراف النهار، مع إخوانه الأنبياء والملائكة وسائر المؤمنين والأخيار.

وبعدُ، فإنه لمَّا كانت الصلاة المشيشيَّة شريفة القدر، وعظيمة الخطر، لما حوته من الحقائق الإلهية والأسرار الربانية، وكان يتردد في الخاطر القاصر سنين أن أشرحها شرحًا مُبيِّنًا لحقيقة مرامه، وكنتُ مترددًا في ذلك بين إحجامه وإقدامه، وقويَ ذلك الخاطر الفاتر، وساعفته الأقدار والبشائر.

شرعتُ بعون ربي، مُستغفرًا من ذنبي وملتجئًا لحِبِّي، مُقتبسًا من اسمه الأوَّل مقدَّمة، إشارة لكونه المقصود فاعلمه، ومختارًا من اسمه الآخر خاتمة، لتكون فاقتي لشهوده دائمة، إذ هو المشهود الأول في كل المطالب، والمُنتهى المقصود من جميع المآرب، وسمَّيتهُ: «النفحات القدسيَّة من الحضرة العباسيَّة في شرح الصلاة المشيشيَّة»، وباللَّه أستعين لا محبوب سواه، ولا مطلوب إلا إيَّاه.

مقدمة:

اعلم أن الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أشرف القربات، وأعظم الطاعات، حتى نقل بعضهم الاتفاق على أنها مقبولة أبدًا، وحُرِّر خلافه في "كنز العفاف" و"الدلائل" على شرفها كثيرة، ولو لم يكن من ذلك، إلا قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[الأحزاب: ٥٦]، وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِي أَكْثَرُهُمْ عَلَيَّ صَلَاةً»(١)، وقول أبي بكر الصِّدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمْحَق لِلذُّنُوبِ مِن الْمَاءِ

(١) أخرجه الترمذي وابن حبان. والخطيب

الْبَارِد لِلنَّار لِلظَّمْإِ، وَالسَّلَامُ عَلَيْهِ أَفْضَل مِن عِتْق الرِّقَاب»[٢] لكفى.

وهي فرض في العمر مرَّة عند أكثر العلماء. واختُلف في وجوبها كلما ذُكِر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والمختار الوجوب، والمذهب الاستحباب، ولا تتداخل.

فإن قلتَ: إذا تيقن أن له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مراتب الكمال بلا شك، فلماذا أمرنا بالصلاة عليه؟، وأيُّ فائدة فيها؟.

قُلتُ: للناس أجوبة: منها: أن له أنواع المراتب التي لا تتناهى وإلا لزم انتهاء مقدورات اللَّه ونعمه. ومنها: أن أمرنا بذلك تعبُّدًا. ومنها: أن أمرنا بالصلاة عليه للجزاء الذي يعود إلينا بسببها. ومنها: أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ينتفع بها وهو التحقيق، إذ لا نهاية لكمالات اللَّه تعالى، ولا مانع من ربطها بالأسباب فإنه الحكيم الوهَّاب.

فإذا كان كذلك فمن أكمل ما يصلَّى به عليه صلاة السيد الشريف الحسني شيخ الشيوخ الأكابر، منهم: أبو الحسن الشاذلي العارف باللَّه تعالى والدالّ عليه سيدنا ومولانا الشيخ أبي مُحمَّد عبد السلام بن مشيش، يقال بالميم أوله وبالباء الموحدة. وقال: الشارح أبو عبد اللَّه الخَرُّوبِي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: وكان بعض مَن لقينا من الأشياخ يصحّح الأول، ويقال: مشيش بتشديد الشين وتخفيفها، المغربيّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وأمدَّنا بمدده، فإنها صلاة جليلة المقدار، عظيمة الأسرار والأنوار، دالَّةٌ على كمال صاحبها وتمام عرفانه؛ إذ كل إناءٍ ينضح بما فيه، وكل كلام عليه كسوة

(٢) ذكره القاضي عياض في "الشفا".

القلب الذي صدر منه، وناهيك بصلاة حازت نهاية الثناء عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما هو مقدور البشر مع مساعفة العناية والقدر، وملاحظة الفيوضات الإلهية، وإلا فليس في قدرة البرية الثناء بتلك القضية، كما ستنكشف لك حقيقتها، وذلك أيضًا بحسب قصوري، والتقصير قليل من كثير وصغير من كبير.

وقال الشيخ العارف العلامة أحمد بن محمد النَّخْلي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه "بغية الطالبين": وفي قراءتها من الأسرار والأنوار ما لا يعلم حقيقته إلا اللَّه تعالى، وبقراءتها يحصل المدد الإلهي والفتح الرباني، ولم يزل قارئها بصدق وإخلاص مشروح الصدر، مُيسَّر الأمر، محفوظًا بحفظ اللَّه تعالى من جميع الآفات والبليات الظاهرة والباطنة، منصورًا على جميع الأعداء، مُؤيَّدًا بتأييد اللَّه العظيم في جميع أموره، ملحوظًا بعين عناية اللَّه الكريم الوهَّاب وعناية رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلى آله والأصحاب، وتظهر فائدتها بالمداومة عليها مع الصدق والإخلاص والتقوى، ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾[النور: ٥٢] اهـ. وهو كلام لا إشكال فيه ولا ريب، فجاهِدْ تشاهِدْ.

وقد أجازني بقراءتها بعد الصبح وبعد المغرب العلَّامة الفهَّامة شيخنا الشيخ شلبي المالكي، كان اللَّه لي وله. وقيل: تُقرأ مرَّة ثالثة بعد العشاء، وقد أحببتُ أن أذكر سند الشيخ أحمد النَّخْلي لها تبرُّكًا، إذ ذكر أنه أخذها عن الشيخ محمد بن علاء الدين البابلي، وقال: وقد أخذ شيخنا محمد البابلي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى هذه الصلاة عن الشيخ سالم السنهوري، عن النجم

الغيطي، عن شيخ الإسلام زكريا، عن العزّ عبد الرحيم بن الفرات، عن التاج عبد الوهاب بن علي السُّبْكي، عن والده التقي علِيّ بن الكافي السُّبْكي، عن الشيخ ابن عطاء الله، عن الشيخ الإمام أحمد بن عمر المرسي، عن أبي الحسن الشاذلي، عن مؤلفها سيدي عبد السلام بن مشيش، نفعنا الله تعالى به وبهم أجمعين.

وكان صاحب الصلاة جليل القدر، عظيم الشأن، قطب الدائرة، ذا طريقة وأحوال مستحسنة، وحقائق كشفية ومعارف إلهية، وقد أخذ الطريقة عن أكابر منهم الشيخ العارف عبد الرحمن المدني، ثم من واحد إلى سيدنا الحسن بن عليّ بن أبي طالب، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم أجمعين، وأخذ عنه كثير من الأكابر، منهم الأستاذ أبو الحسن الشاذلي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

ومن أجَلِّ ما يستدل به على ما أذكره وأوضحه ما حُكِي عن الشيخ أبي الحسن المذكور: أنه كان نائمًا ذات ليلة ببيت المقدس، فلما مضى بعض الليل إذ رأى السقف قد انفرج، وإذا كراسي من ذهب وفضة مرصعة نزلت منها ورتَّبها رجل، وإذا بتختٍ عظيمٍ مُرصَّع بأنواع الجواهر، يحار الواصفون في نعته، وإذا بملأ من الناس نزلوا وقعد كل واحد على كرسي، وإذا رجل لم يُرَ مثله في الحسن والأنوار نزل فقعد فوق التخت منفردًا لم يشاركه فيه غيره، قال: فقلتُ لمن في جانبي: مَنْ هؤلاء؟!، قال: الأنبياء، قلت: والذي على التخت؟، قال: نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قلتُ: لِمَ جاءوا؟، قال: جاءوا يستشفعون الرسول في الحلَّاج حيث خالف ظاهر الشرع. قال: ثم بعد ذلك قال موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ للرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ: بلغني أنك تقول: «عُلَمَاءُ أُمَّتِي كَأَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ»[٣]، فأحبُّ أن تريني واحد منهم، فأشار صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى رجل فإذا هو الغزَّالي، فقال: يا رسول اللَّه، ائذن لي أن أتكلَّم معه، فسأله عن مسألة فأجابه بعشرة أجوبة، فقال: يا سبحان اللَّه سألتك عن شيء واحد فأجبتني بأجوبة، فقال له: يا سبحان اللَّه ربّك لما قال لك: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَامُوسَى﴾[طه: ١٧]؟، قلتَ: ﴿هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى﴾[طه: ١٨]، قال: ثم إني لم أزل متعجِّبًا، في كون آدم أبي البشر، ونوح، وإبراهيم خليل اللَّه، وموسى كليم اللَّه، وعيسى، كلهم تحت التخت والرسول وحده منفرد به مع كونهم آباؤه وكبار الأنبياء، وبينما أنا في ذلك وإذا واحد يرفسني، ويقول: قم أما علمت أنه أصل الكل وسيدهم المنفرد بسائر الكمالات، فكيف يشاركونه فيه؟. بهذا المعنى سمعت القصة من بعض مشايخي الأجلَّة، رحمهم اللَّه تعالى.

(اللَّهُمَّ) أَيْ: يا مَنْ له الذات العظمى والصفات الكبرى والأسماء الحسنى، ويا مَنْ لا يُدرك كنه ذاته، ولا حقيقة صفاته، ولا يُحاط بتأثير أسمائه، ولا يُدَانى في عزّه وبقائه.

(صَلِّ) أَيْ: ارحم بذاتك الصمدية وصفاتك الأزلية، إذ الصلاة من اللَّه رحمة، كما قال علماء الأُمَّة. وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ يباركون على النبيّ.

---

(٣) ذكره الرازي في "تفسيره" وابن حجر الهيتمي في "الفتاوى الحديثية"

وقال أبو بكر القُشَيْري رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: الصلاة من اللَّه تعالى لمن دون النبيّ رحمة، وللنَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تشريف وزيادة تكرُّمة. وقال أبو العالية: صلاة اللَّه ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة الدعاء.

(عَلَى مَنْ) أَيْ: على الذي هو روح الوجود، وعين مرامك المقصود، ومَنْ (مِنْهُ انْشَقَّتِ الأَسْرَارُ) جمع سرّ، وله معان كثيرة أنسبها من ذلك بهذا المحل: جوف كل شيء ولبه، وما يُكتم، فعلى الأول يكون المعنى من أجله أَيْ: بواسطته انصدعت الأجواف، وكان لها من اللَّه الإشراف، وعلى الثاني انخرقت الألباب، واشتاقت إلى لقاء الأحباب، وعلى الثالث فإن أريد بما يكتم الحِكَم والمعارف التي يجب كتمها على غير أهلها، فذلك ظاهر لأنها إن كانت من حيث الشريعة فلا كلام، وإن كانت من حيث الحقيقة فكذلك بإجماع علماء الأنام.

وإن أُريد بما يكتم من حيث الأكوان كلها، فكذلك أَيْضًا، إذ هي ومن قامت به بارزة منه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كما رواه عبد الرزَّاق بسنده عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «يا رسول اللَّه أخبرني عن أول شيء خلقه اللَّه قبل الأشياء، قال: يا جابر إن اللَّه تعالى خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره، فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء اللَّه، ولم يكن في ذلك الوقت لوح ولا قلم ولا جنة ولا نار ولا ملك ولا سماء ولا أرض ولا شمس ولا قمر ولا جن ولا إنس، فلما أراد اللَّه تعالى أن يخلق الخلق قسَّم ذلك النور أربعة أجزاء، فخلق من الجزء الأول القلم، ومن الثاني اللوح، ومن الثالث العرش، ثم قسَّم الجزء الرابع أربعة أجزاء، فخلق من

الأول السماوات، ومن الثاني الأرضين، ومن الثالث الجنة والنار، ثم قسّم الرابع أربعة أجزاء، فخلق من الأول نور أبصار المؤمنين، ومن الثاني نور قلوبهم، وهي المعرفة باللَّه، ومن الثالث نور أنسهم وهو التوحيد لا إله إلا اللَّه محمد رسول اللَّه»الحديث.

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَا مِنَ المُؤْمنينَ وَالمُؤْمِنُونَ مِنِّي»[٤] أَيْ: أنا من نور اللَّه والمؤمنون من نوري، وهذا النور هو المُعبَّر عنه بقوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ خَلْقَه فِي ظُلْمَةٍ، فَأَلْقَى عَلَيْهِمْ مِنْ نُورِهِ، فَمَنْ أَصَابَهُ مِنْ ذَلِكَ النُّورِ يَوْمَئِذٍ شَيْءٌ اهْتَدَى، وَمَنْ أَخْطَأَهُ ضَلَّ»[٥] وهو الرحمة العامة، المشار إليها بقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[الأنبياء: ١٠٧].

وقد وجبت له النبوة قبل أن يكون آدم في الماء والطين، والمُعبَّر عنها بقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِائَةَ رَحْمَةٍ، كُلُّ رَحْمَةٍ طِبَاقُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَجَعَلَ مِنْهَا فِي الْأَرْضِ رَحْمَة فَبِهَا تَعْطِفُ الْوَالِدَةُ عَلَى وَلَدِهَا، وَالْوَحْشُ وَالطَّيْرُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ، وَأَخَّرَ تِسْعًا وَتِسْعِينَ فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَكْمَلَهَا بِهَذِهِ الرَّحْمَةِ»[٦].

---

(٤) ذُكِر في "المقاصد الحسنة" و"الدرر المنتثرة" و"التمييز" و"الأسرار المرفوعة" و"تنزيه الشريعة" و"كشف الخفاء" و"الفوائد المجموعة" و"الفوائد" للكرمي و"تذكرة الموضوعات" و"الفتاوى الحديثية".

(٥) أخرجه الحاكم والبيهقي.

(٦) أخرجه مسلم وأحمد وابن حبان والحاكم والبيهقي وابن أبي شيبة.

ويُروى: «إن الله تعالى لما خلق آدم قال: يا رب لم كنيتني أبا محمد؟، قال: ارفع رأسك، فرفعه فرأى نور محمد في سرادقات العرش، فقال: يا رب ما هذا النور؟، قال: هذا نور محمد نبيّ من ذريتك، اسمه في السماء أحمد وفي الأرض محمد، ولولاه ما خلقتك ولا خلقت سماءً ولا أرضًا»[٧].

ففي قوله: لولاه ما خلقتك إلخ: إيماءٌ إلى خروج جميع الموجودات منه، وإشعار بانشقاق جميع الأسرار عنه، إذ لولا الأصل لما وُجد الفرع، وبغير الواسطة لا يكون الموسوط، ولأنه لما تعلَّقت إرادته تعالى بإيجاد الخلق أبرز الحقيقة المحمدية من محض نوره المشار إليه بقوله: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾[الحجر: ٢٩]، ثم سلخ منها العوالم كلها علويها وسفليها على ما سبق في سابق إرادته، ثم أعلمه تعالى بنبوته وبشَّره برسالته.

هذا وآدم لم يكن إلا كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ»[٨]، ثم انبجست منه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عيون الأرواح، فظهر في الملإ الأعلى أصلاً ممدًا للعوالم كلها.

وبيان ذلك كنزًا وتوضيحه أنه لما كان تعالى كنزًا مخفيًا فأحب أن يعرف توجَّهت الذات إلى الأسماء والصفات، فاستوفزت بكمالها وانتهضت لإظهار جمالها وجلالها، فأظهرت الذات الإلهية الذات النبوية،

---

(٧) عزاه القسطلاني لـ"مولد الشريف" لابن طغربك.

(٨) أخرجه أحمد والبخاري في "الأدب المفرد" والترمذي والبزَّار والطبراني والحاكم وأبو نعيم والبيهقي.

وأخلفت الأسماء والصفات الربانية الكرامات والكمالات الاصطفائية، فبرزت من ذلك الحقيقة المحمَّدية قبل وجود شيء من البرية، كما جاءت بذلك الأخبار الصحيحة المروية، إذ أخبر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ دُرَّةً بَيْضَاءَ»[٩] الحديث، وتلك الدُرَّة هي العقل الذي أخبر به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: «أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّه الْعَقْلُ»[١٠] الحديث.

وذلك هو نور محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي أخبر عنه فيما رواه جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «سألتُ رسول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن أول شيء خلقه اللَّه تعالى، فقال: هو نور نبيك يا جابر، خلقه اللَّه ثم خلق فيه كل خير، وخلق بعده كل شيء، وحين خلقه أقامه قدامه في مقام القرب اثنى عشر ألف سنة، ثم جعله أربعة أقسام، فخلق العرش من قسم، والكرسي من قسم، وحملة العرش وخزنة الكرسي من قسم، وأقام القسم الرابع في مقام الحب اثنى عشر ألف سنة، ثم جعله أربعة أقسام، فخلق القلم من قسم، واللوح من قسم، والجنة والنار من قسم، وأقام القسم الرابع في مقام الحق اثنى عشر ألف سنة، ثم جعله أربعة أجزاء، فخلق الملائكة من جزء، وخلق الشمس من جزء، وخلق القمر والكواكب من جزء، وأقام الجزء الرابع في مقام الرجاء اثنى عشر ألف سنة، ثم جعله أربعة أجزاء، خلق العقل من جزء، والحلم والعلم من جزء، والعصمة والتوفيق من جزء، وأقام الجزء الرابع في مقام الحياء اثنى عشر ألف سنة،

---

(٩) أخرجه أبو نعيم في "العظمة".

(١٠) أخرجه أبو نعيم في "الحلية" والديلمي.

ثم نظر اللَّه عزَّ وجلَّ إليه فترشح النور عرقًا فقطّرت منه مائة ألف وعشرون ألفًا وأربعة آلاف قطرة من النور، فخلق اللَّه سبحانه من كل قطرة روح نبي ورسول، ثم تنفَّست أرواح الأنبياء فخلق اللَّه من أنفاسهم نور الأولياء والشهداء والسعداء والمطيعين من المؤمنين إلى يوم القيامة، فالعرش والكرسي من نوري، والكروبيون من نوري، والروحانيون من الملائكة من نوري، وملائكة السماوات السبع من نوري، والجنة وما فيها من النعيم من نوري، والشمس والقمر والكواكب من نوري، والشهداء والصالحون من نتائج نوري، ثم خلق اللَّه اثنى عشر حجابًا فأقام اللَّه نوري، وهو الجزء الرابع، في كل حجاب ألف سنة، وهي مقامات العبودية، وهي حجاب الكرامة والسعادة والهيبة والرحمة والرأفة والعلم والحلم والوقار والسكينة والصبر والصدق واليقين، فعبَدَ اللَّهَ ذلك النور في كل حجاب ألف سنة، فلما خرج النور من الحجب ركَّبه اللَّه في الأرض، فكان يضئ منه ما كان بين المشرق والمغرب كالسراج في الليل المظلم، ثم خلق اللَّه من الأرض آدم فركَّب فيه النور في جبينه، ثم انتقل منه إلى شيث، وكان ينتقل من طاهر إلى طيب، ومن طيب إلى طاهر، إلى أن أوصله إلى عبد اللَّه بن عبد المطلب، ومنه إلى رحم أمي آمنة، ثم أخرجني إلى الدنيا، فجعلني سيد المرسلين وخاتم النبيين، ورحمة للعالمين، وقائد الغُرِّ المُحجَّلين، هكذا كان بدء خلق نبيك يا جابر»[١١]. هكذا نُقِل هذا الحديث. فقد رُوِي في حديث ابن القطَّان: «كنت نورًا بين يدي ربي قبل خلق آدم بأربعة عشر

(١١) أخرجه عبد الرزَّاق في "مصنفه".

ألف سنة »[١٢].

ورُوِي في "التشريفات" عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سأل جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ: كم عُمِّرت من السنين؟، قال: والله لا أدري غير أن كوكبًا في الحجاب الرابع، يظهر في كل سبعين ألف سنة مرة، فرأيته اثنين وسبعين ألف مرة، فقَال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يا جبريل: وعِزَّة ربي أنا ذلك الكوكب »[١٣].

فهذا وأشباهه لا يستحيل على قدرة العزيز الجليل، وقد تبيَّن مما تقدَّم أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كل العالَم، وأن كل جزء من العالَم مظهرٌ له من حيث اتحاده وجزءٌ منه وبعضه، وغيره من حيث امتيازه وانفراده، إذ نوره الذي هو العقل أصل العالَم كما ترى.

وبهذا تبيَّن لك أن سائر الأسرار الشرعية والحقيقية والعرفية مُشْتَقَّةٌ منه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبارزةٌ من نوره المحمدي، فلذا صار هو عين الوجود ومظهر تجلي الواحد المعبود، ولذا إذا منح اللَّه تعالى عبده المحبة والعرفان، وجذبهُ إلى أعالي مقامات الإحسان، وتجلَّى له بكمال الشهود، لا يرى إلا الإله المقصود، ورسوله الذي هو عين الوجود، ويتحقَّق في مقام الفناء، «كَانَ اللَّهُ وَلَا شَيْءَ مَعَهُ »[١٤]، وهو الآن على ما عليه كان.

---

(١٢) ذكره القسطلاني في "المواهب اللدنية".

(١٣) هو كتاب "التشريفات في الخصائص والمعجزات"، قال صاحب "السيرة الحلبية": لم أقف على اسم مؤلفه. وجاء في فهرس الحرم المكي أنه لعبد الباقي عارف.

(١٤) جزء من حديث في "البخاري" وذكره الرازي في "تفسيره".

وينكشف له في مقام البقاء أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان ولم يكن معه شيء من الموجودات سوى ربّ الأرض والسماوات، وهو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الآن على ما عليه كان، مخصوصٌ بالتجلي الحقيقي من اللَّه، كما أنه سبحانه مخصوصٌ بالوجود في سائر الأزمان، وتنزَّه بكمال استغنائه عن المكان والزمان، وصَلَّى اللَّه على المخصوص بالتجلي الأعظم في سائرالأحيان، وسلَّمَ على من اُشتقَّ منه سائر الذوات والألوان، وما أحسن ما قيل[١٥] في هذا المعنى:

عين الوجود وواحد الموجود ... مجلى محاسن حضرة المعبود
وحقيقة الاسم الذي لصفاته ... خضعت رقاب أولي النُّهَى بسجود
متوحِّد في كل فضل باهر ... ووحيد فرد حقيقة التوحيد
كل الكمال عبارة عن خردل ... متفرِّق في غيره المصمودي
شأن الإله وعين واحد ذاته ... المجتبى لصعوده لسعود
خال الملاحة نور ضوء جبينها ... قد عمَّ مسبوق الفناء لوجود
سعدت به الأكوان طرًّا إنما ... بالأصل يسعد فرع كل سعيد
روح المعاني والأواني جملة ... معنى الوجود وصورة الموجود
ذاك النبي الهاشمي محمد ... عبد الإله خليفة المحمود

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صلاةً وسلامًا يليقان بجلاله وجماله وكماله.

فإن قلتَ: إذا كان جميع الموجودات منفصلة عنه، ومن ذلك النار والكفار والفجار ونحوها، ويبعد أن تكون هذه الأشياء الخسيسة منفصلة

(١٥) الأبيات للسيد عبد الكريم الجيلي أوردها في "قاب قوسين وملتقى الناموسين".

من عين الكمالات ونور الجلالات، لكن بعد النقل لا تعويل على العقل، فما حكمة ذلك وما وجه انفصاله؟.

فاعلم أنه سبحانه وتعالى لما كان منفردًا بذاته، وموصوفًا بكثرة صفاته، وأراد إحداث حادث محبوب، وشأن المحب أن يحب لمحبوبه ما يحب لنفسه، كما يشير إليه قوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»(١٦)، أبرز الذات المحمدية مفردة من الذات الفردانية، لتكون مَلْجأ لكل البرية، وخلع عليها من صفاته الكثيرة الإلهية كثرة الصفات النبوية، لتكون ممدًا لسائر الرعية، كما أن ذاته سبحانه ملجأ لسائر العالمين، وصفاته تعالى ممدة لكل الخلق أجمعين، ولا يضر انفصال تلك الأشياء عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لأن ذلك من تكميل اللَّه له، لأنها مظاهر الجلال وغيرها مظاهر الجمال، والجمع عين الكمال، والحمد للَّه ذي الإفضال والصلاة والسلام على النبي والآل.

(وَانْفَلَقَتِ الأَنْوَارُ) جمع نور: وهي حسية ومعنوية، فالحسية بجميع أنواعها منفلقة من نوره، ومنفجرة من كمال بطونه وظهوره، وهي غير منحصرة لكثرة ما حوته الصورة، وقد مرَّ بيان ذلك بما منح اللَّه مما هنالك. وأما المعنوية فما كان من الشريعة فظاهر، وما كان إلى الحقيقة فكذلك، إذ لا يحصل لأحد من الأنبياء والملائكة والعارفين من التجليات الإلهية والأنوار الربانية إلا وهي منفلقة منه وصادرة عنه.

(١٦) أخرجه البخاري وأحمد والترمذي والنسائي والطبراني.

وبيان ذلك أنه لما كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مخصوصًا بالتجلي الأعظم لما أنه روح سر العالَم والمقصود من الوجود، كان تجلي الله له خاصة، وكان مهبط التجليات الإلهية، فكل عارف لا يحصل له من ذلك إلا ما ترشح من حماه، وانفلق من نوره وبهاه، ولا يمكنه السير إلى ما وراء ذلك، إذ هو ممنوع مما هنالك لاختصاصه بسيد الوجود، لأنه حبيب الإله المعبود، وما سواه بالنظر إليه معدوم ومفقود، ولله در الشريف الأبوصيري حيث قال في "همزيته":

أَنْتَ مِصْبَاحُ كُلِّ فَضْلٍ فَمَا تَصْـ ـدُرُ إِلَّا عَنْ ضَوْئِكَ الْأَضْوَاءُ

وقال في "بُردته":

وَكُلُّهُمْ مِنْ رَسُوْلِ اللهِ مُلْتَمِسٌ غَرْفًا مِنَ الْبَحْرِ أَوْ رَشْفًا مِنَ الدِّيَمِ
وَوَاقِفُونَ لَدَيْهِ عِنْدَ حَدِّهِمِ مِنْ نُقْطَةِ الْعِلْمِ أَوْ مِنْ شَكْلَةِ الْحِكَمِ

هذا وإسناد الانشقاق إلى الأسرار والانفلاق إلى الأنوار، حسنٌ بديع عند ذوي الأبصار.

(وَفِيهِ ارْتَقَتِ الحَقَائِقُ) أَيْ: وفي ذاته وصفاته اعْتَلَت الحقائق وارتقت الدقائق، فكانت وراء طور نهى الخلائق، لما أن استعداده لا يقاس، وإمداده قصر عن سمة سائر الناس، فحقائقه به تترقى، ودقائقه تعالت لحوقًا وسبقًا، وقد قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أُوتِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ وَخَوَاتِمَهُ»[١٧]، وقال جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ: «قَلَّبْتُ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا،

(١٧) أخرجه أحمد والبزَّار وأبو نعيم والبيهقي.

فَلَمْ أَرَ رَجُلًا أَفْضَلَ مِنْ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ »[١٨].

ورحم الله الأبوصيري حيث قال:

وَانْسُبْ إِلَى ذَاتِهِ مَا شِئْتَ مِنْ شَرَفٍ وَانْسُبْ إِلَى قَدْرِهِ مَا شِئْتَ مِنْ عِظَمِ

فَإِنَّ فَضْلَ رَسُولِ اللَّهِ لَيْسَ لَهُ حَدٌّ فَيُعْرِبَ عَنْهُ نَاطِقٌ بِفَمِ

(وَتَنَزَّلَتْ عُلُومُ آدَمَ) أَيْ: وفيه تنزَّلت من عند الله علوم أسماء آدم يعني حقائق العلوم التي علم آدم أسماءها بقوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾[البقرة: ٣١]، وهذه العلوم هي علوم القرآن كما قال تعالى: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾[الأنعام: ٣٨]، ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾[النحل: ٨٩]، وفي "الترمذي" وغيره: «سَتَكُونُ فِتَنٌ قِيلَ: وَمَا المَخْرَجُ مِنْهَا؟، قَالَ: كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ نَبَأُ مَا قَبْلَكُمْ وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ، وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ». وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «مَنْ أَرَادَ الْعِلْمَ فَعَلَيْهِ بِالْقُرْآنِ فَإِنَّ فِيهِ خَبَرَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخَرِينَ »[١٩]. ومن ثَمَّ قال الشافعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: جميع ما تقوله الأمة شرح للسنة، وجميع السنة شرح للقرآن. وقال أَيْضًا: جميع ما حكم به النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهو ما فهمه من القرآن. وقال آخر: ما من شيء في العالَم إلا وهو فيه، فقيل له: فأَيْنَ ذكر الخانات فيه؟، فقال: في ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ﴾[النور: ٢٩] فهن الخانات. وقال آخر: ما من شيء إلا يمكن استخراجه من القرآن لمن فهَّمه الله تعالى حتى إن عمره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثلاثًا وستين سنة

(١٨) أخرجه الطبراني والحاكم في "الكنى" وابن عساكر.

(١٩) أخرجه سعيد بن منصور والبيهقي.

استُنْبطَ من آخر سورة المنافقون، لأنها رأس ثلاث وستين سورة، وعقبها بالتغابن لظهوره بفقده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وعن هذا قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: لو ضاع عقال بعير لوجدته في كتاب اللَّه تعالى. وقال بعض العارفين: علومه خمسون علمًا وأربعمائة علم وسبعة آلاف علم وسبعون ألف علم، على عدد كلم القرآن، مضروبة في أربعة، إذ لكل كلمة ظهر وبطن وحد ومطلع، ويضم لذلك اعتبار تركيب ما بينها من روابط، لكن هذا لا يحصيه إلا المتكلِّم به تعالى. وقال آخر: لم يُحط بالقرآن إلا المتكلِّم به ثم نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيما عدا ما استأثر اللَّه تعالى بعلمه، ومن هنا قال عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لو شئت لأوقرت سبعين بعيرًا من تفسير فاتحة الكتاب. ولذا قال بعض العارفين رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

ألا إنه البحر المحيط وغيره من الكتب أنهار تمد من البحر

وجاء في الحديث المشهور: «فَعُلِّمْتُ عِلْمَ الْأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ»[٢٠].

وروى أبو داود عن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَقَامًا، فَمَا تَرَكَ شَيْئًا يَكُونُ فِي مَقَامِهِ ذَلِكَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ إِلَّا حَدَّثَهُ، حَفِظَهُ مَنْ حَفِظَهُ وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ، قَدْ عَلِمَهُ أَصْحَابِي هَؤُلَاءِ، وَإِنَّهُ لَيَكُونُ مِنْهُ الشَّيْءُ فَأَذْكُرُهُ كَمَا يَذْكُرُ الرَّجُلُ وَجْهَ الرَّجُلِ إِذَا غَابَ عَنْهُ، ثُمَّ إِذَا رَآهُ عَرَفَهُ»الحديث.

---

(٢٠) ذكره الحلبي في "سيرته الحلبية".

وقال أبو ذرّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَقَدْ تَرَكَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا يُحَرِّكُ طَائِرٌ جَنَاحَيْهِ فِي السَّمَاءِ إِلَّا أَذْكَرَنَا مِنْهُ عِلْمًا»[٢١]. وقد قال العلماء المُحقِّقُون: إنه تعالى أعلمَ نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علم الغيب كله، حتى الخمس المستثناة في آخر عمره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لكنه أمر بكتم البعض وإفشاء البعض، وشتان بين العلم بحقائق الأشياء وبين العلم بأسمائها، وبين إدراك المقصود وإدراك وسائله، ولكن لما كان هو المقصود مُنِح حقائق الوجود، وكان آدم هو الوسيلة أوقف على الوسيلة، فسبحان مَنْ حكمته تُبهر العقول، وأسرار عجائبه تطول، ولله درّ الشرف الأبوصيري في قوله:

لك ذات العلوم من عالم الغيـ ـب ومنها لآدم الأسماءُ

ومن هنا قال بعض المُحقِّقين: إنما أسجد الملائكة لآدم لأجل نور محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي في جبينه، وهذا على أحد القولين في أن آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ إنما علم الأسماء فقط، وقيل: علمها بحقائقها أيضًا، وكلام الماتن محتمل الأمرين، والأول وارد عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وعليه فقيل: علم الأسماء الموضوعة بكل لغة وعلَّمها أولاده، فلما افترقوا في البلاد وكثروا اقتصر كل قوم على لغة، وهذا يقوي ما هو الأصح في الأصول أن اللغات كلها توقيفية. وقيل: إنما علم لغة واحدة لأن الحاجة لم تدع إلا إليها، وأما بقية اللغات فبالواضع، وصحَّ أنه كان يتكلم بكل لسان، ولكن الغالب أنه يتكلم بالسرياني.

(٢١) أخرجه أحمد والطبراني.

والعلوم: جمع علم وهو هنا صفة ينجلي بها المعلوم لمن قامت به انجلاءً تامًّا، أو الإدراك الجازم الذي لا يحتمل النقيض، وحُدَّ بحدود أخر كلها مدخولة، وترادفه المعرفة لكن لا يقال لله عارفٌ لأنها تستدعي سبق جهل بخلاف العلم واليقين، لكن فرَّق بينهما بعض المحققين: بأن اليقين خاص بما من شأنه أن يتطرق إليه شك، فلا يقال تيقنت أن الواحد نصف الاثنين. وقال الراغب: اليقين من صفة العلم فوق المعرفة والدراية وأخواتها، يقال: علم يقين ولا يقال: معرفة يقين، وهو سكون النفس مع ثبات الحكم حال كونها واصلة إليك على لسان الملك، أو بالإلقاء في الرَّوْع أو بخلق العلم الضروري أو بسماع الكلام النفسي، كذا في "شرح الهمزية" لابن حجر.

وآدم أبو البشر صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ، وأصله أءدم لكنهم ليّنوا الثانية تخفيفًا وجعلوها في التصغير واوًا، لتلينها من الأدمة بالسكون أو الفتح أو من أديم الأرض، كما صحّ عن ابن عباس، وورد عن علي وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنهم: وأديم الأرض: ظاهر وجهها، والأدمة: السمرة وهو مراد مَنْ قال: لون يُقارب السواد، ومن قال: يشبه التراب.

واستشكل كل بما ورد من براعة جماله، وأن يوسف عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كان على الثلث من جماله. وقد يُجاب بأن الجمال لا ينافي السمرة لأنها بين البياض والحمرة، ثم قيل: اشتقاقه مما ذكر يؤيد القول بأنه عربي، وبه صرح الجواليقي وغيره. ورُدَّ: بأن توافق القولين غير منكر،

وأنه لا دليل على أن الاشتقاق من خواص كلام العرب. وأُجيب: بأن الأصل عدم التوافق، وبأن الوجه أن الاشتقاق خاص بكلام العرب، فقد أطبقوا على التفرقة بين اللفظ العربي والعجمي بصحة الاشتقاق، كذا في "شرح الهمزية" أيضًا.

(فَأَعْجَز الخَلاَئِق) بما حواه من الحقائق والعلوم والدقائق، وبما تحلَّى به من الأنوار الربانية والرقائق التي في بحرها يغرق كل بحر مائج ورائق، بل لو حام حولها البحر المحيط لقال: إني غارق، فسبحان مَنْ خصَّصهُ بما شاء من العلوم، وأعجز جميع خلقه بمنطوقه والمفهوم، ورحم اللَّه العارف الأبوصيري حيث قال:

وتلقَّى من ربه كلمات ... كل علم في شمسهن هباءُ
زاخرات العلوم يغرق في ... قطراتها العالمون والحكماءُ
وتحدَّى فارتاب كل مريب ... أَوَ يبقى مع السيول الغثاءُ؟

وكيف لا يعجز الخلائق عن كنهه وخلقه ووصفه، وهو المُتَّصف بسائر الكمالات والمُتحقّق بأعالي المقامات، كما قال عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ سُنَّتِهِ فَقَالَ: الْمَعْرِفَةُ رَأْسُ مَالِي، وَالْعَقْلُ أَصْلُ دِينِي، وَالْحُبُّ أَسَاسِي، وَالشَّوْقُ مَرْكَبِي، وَذِكْرُ اللَّهِ أَنِيسِي، وَالثِّقَةُ بِاللَّهِ كَنْزِي، وَالْحُزْنُ رَفِيقِي، وَالْعِلْمُ سِلَاحِي، وَالصَّبْرُ رِدَائِي، وَالرِّضَا غَنِيمَتِي، وَالْعَجْزُ فَخْرِي، وَالزُّهْدُ حِرْفَتِي، وَالْيَقِينُ قُوَّتِي، وَالصِّدْقُ شَفِيعِي، وَالطَّاعَةُ حَسْبِي، وَالْجِهَادُ خُلُقِي، وَقُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»[٢٢]. وفي

(٢٢) ذكره القاضي عياض في "الشفا" والغزَّالي في "الإحياء".

حديثٍ آخر: «وَثَمَرَةُ فُؤَادِي فِي ذِكْرِهِ، وَغَمِّي لِأَجْلِ أُمَّتِي، وَشَوْقِي إِلَى رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ»[٢٣]، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَشَرَّفَ وَكَرَّمَ وَمَجَّدَ وَعَظَّمَ.

(وَلَهُ تَضَاءَلَتِ الفُهُومُ) أَيْ: ولأجل كماله وعظمته تصاغرت الفهوم، فلم تدرك شيئًا من حقيقته، وتحاقرت الإدراكات فلم تفهم شيئًا من كمال حاله وصفته، وكل مَنْ رام شيئًا من ذلك رجع خاسئ الطرف عمَّا هنالك، وكل قصد دون أنواره عاد معترفًا بعجزه واحتقاره، وكل مَنْ نوى شَمَّ تلك الرائحة الطيبة انحلَّت نياته وعزماته الصلبة، فالكل في بحر عجزه ونقصه غارق.

(فَلَمْ يُدْرِكْهُ مِنَّا سَابِقٌ وَلَا لَاحِقٌ) وكيف يدرك مَنْ كان خلقه القرآن، وذاته مَنْ نور ذات الرحمن، ومَنْ له كل مراتب الإحسان، ومَنْ هو الحبيب الأكرم، والمخصوص بالتجلي الأعظم. ومن هنا قال بعض العارفين رحمهم الله أجمعين: لو انكشفت حقيقته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للخلق لارتدوا جميعًا، إذ مَنْ كانت صفاته صفات الرحمن، وذاته من نور ذات المنَّان، وهو مدرك بالحواس والعيان، لا يختلف في معبوديته اثنان، ومن هنا اختلف الناس في الأديان لِمَا ظهر لهم من تجليه تعالى في الجمادات والحيوان، ولكن سبحان الحنَّان المنَّان الذي حفظ مَنْ شاء من عباده بالدليل والبرهان، وحجز مَنْ أحبَّ باليقين والعيان، وإذا كان الأمر كذلك فليس إلى إدراكه من سبيل، بل ولا إلى شمّ رائحة السيد النبيل، ولكن غاية التحقيق والإدراك أنه سيد المرسلين والأملاك، وما أحسن قول

(٢٣) ذكره القاضي عياض في "الشفا".

صاحب "البُردة" رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

أعْيَا الورى فهم معناهُ فليس يُرَى ... للقُرْبِ والبُعْدِ فيه غير منفَحِم
كالشمس تظهر للعينين من بُعُدٍ ... صغيرةً وتكِلُّ الطرفَ من أَمَمِ
وكيف يدرك في الدنيا حقيقته ... قوم نيام تسلُّوا عنه بالحُلم
فمبلغ العِلْمِ فيهِ أنَّهُ بَشَرٌ ... وأنه خير خلقِ اللَّه كلِّهمِ

ومن كان هذا شأنه وصفته كيف يمكن وصفه ونعته؟، أم كيف يمدح حاله وذاته، ولذا لمَّا رأى بعض الأخيار سلطان العُشَّاق العارف باللَّه تعالى سيدي عمر بن الفارض أمدَّنا اللَّه بمدده الفائض، فقال له: لِمَ ما مدحت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيْ: بالتصريح، وإلا فنظمه ليس إلا في الحضرة الإلهية والمكانة النبوية، فقال:

أرى كل مدح في النبي مقصِرًا ... إن بالغ المثني عليه وأكثرا
إذا اللَّه أثنى بالذي هو أهله ... عليه فما مقدار ما يمدح الورى

وقال ابن الخطيب الأندلسي:

مدحتك آيات الكتاب فما عسَى ... يثني على عليك نظم مديحي
وإذا كتاب اللَّه أثنى مفصحًا ... كان القصور قصار كل فصيح

فعُلِم بهذا أنه لو بالغ الأولون والآخرون في إحصاء مناقبه لعجزوا عن أقصى ما حباه به مولاه الكريم من مواهبه، ولكان المسلم لساحل بحرها مقصِّرٌ عن حصر فخرها، ولقد صَحَّ لمحبيه أن ينشدوا[٢٤]:

(٢٤) البيت لعمر ابن الفارض.

وعلى تفنُّن واصفيه بحسنِهِ يفنى الزمان وفيه ما لم يوصف

وإنه لجدير بقول القائل[٢٥]:

فما بلغت يد امرئ متناولًا من المجد إلا والذي نال أطوَلُ

ولا بلغ المهدون في القول مدحه ولو حذقوا إلا الذي فيه أفضَلُ

وقال البدر الزركشي: ولهذا لم يتعاط فحول الشعراء المتقدمين كأبي تمام والبحتري وابن الرومي مدحه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان مدحه عندهم من أصعب ما يحاولونه، فإن المعاني وإن جلت دون مرتبته، والأوصاف وإن كملت دون وصفه، وكل غُلُوّ في حقه تقصير، فيضيق على البليغ النطاق، فلا يبلغ إلا قِلّاً من كُثر.

فإذا تقرَّرَ ذلك فاعلم أن من أعظم الواجبات على كل مُكلَّف أن يتيقن أن كمالات نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا تُحصَى، وأن أحواله وصفاته وشمائله لا تُستقصى، وأن خصائصه ومعجزاته لم تجتمع في مخلوق، وأن حقه على الكُمَّل فضلاً عن غيرهم أعظم الحقوق، وأنه لا يقوم ببعض ذلك إلا مَنْ بذل وسعه في إجلاله وتوقيره وإعظامه واستجلاء مناقبه ومآثره وحكمه وأحكامه، وأن المادحين لجنابه العليّ والواصفين لكماله الجليّ لا يصلون إلى قلٍّ من كُلٍّ لا حَدَّ لنهايته، وغيض من فيض لا وصول إلى غايته، بل في الحقيقة لم يمدحوه بوصف إلا بحسب فهمهم ذلك، وجَلَّت أوصافه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن تكون إلا مما وراء ذلك مما هنالك، فوصف العجز والتقصير عَمَّ الجليل والحقير، وهو حقيقة الإدراك

(٢٥) الأبيات للخنساء تماضر بنت عمرو السلمية.

والعرفان عند العارفين ذوي الشأن، ولذا قال أفضلهم على التحقيق سيدنا أبو بكر الصِّدِّيق رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: الْعَجْزُ عَنْ دَرْكِ الْإِدْرَاكِ إِدْرَاكٌ.

وإذا علمت انشقاق الأسرار منه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وانفلاق الأنوار عنه (فَـ)اعلم أن (رِيَاض) بكسر الراء وفتح الياء: جمع روضة وهو المكان المعشُوب المُخضر النفيس، (المَلَكُوتِ) كرهبوت: عالم الغيب، (بِزَهْرِ جَمَالِهِ) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، (مُونِقَةٌ) بكسر النون ويجوز الفتح أَيْ: مُعجبة مفرحة أو مأنوسة نفيسة على الفتح، وهذه كناية عن ظهور أسراره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في عالم الملكوت، كما في عالم الملك.

(وَحِيَاضُ) بكسر الحاء المهملة وفتح التحتية: جمع حوض، (الجَبَرُوتِ) كملكوت عالم العظمة عند أبي طالب، وعند الأكثرين العالَم الوسط، (بِفَيْضِ أَنْوَارِهِ) أَيْ: بكثرتها، (مُتَدَفِّقَةٌ) أَيْ: متطفحة ومتصببة، وكل هذا كناية عن كون أنواره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غامرة الوجود بأسره، وكل ذي عظم في الوجود إنما عظمه بظهور كماله وفخره، وبيان ذلك أنه إذا كشف عين الحقيقة بسبب اندماج كمال الطريقة رأى بعين البصيرة تحقيقًا ومشاهدة لا علمًا ومعاينة أن أسراره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ متصلة بالوجود بأسره، وأنواره غامرة لفرعه وأصله.

(وَلَا شَيْءَ) منه (إِلَّا وَهُوَ بِهِ) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (مَنُوطٌ) أَيْ: مُعلَّق لكونه مُمدًّا للعوالم كلها، ورَوْح علوها وسفلها، وواسطة بينها وبين ربها، فكل من ذواتها ومُمِدُّ حياتها به منوط، (إِذْ لَوْلَا الوَاسِطَةُ لَذَهَبَ كَمَا قِيلَ المَوْسُوطُ) بل لا يوجد الموسوط بدون ما به منوط، وفي قوله لنبيه آدم عَلَى نَبِيِّنَا

وَعَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «لولاه ما خلقتك ولا خلقت سماءً ولا أرضًا»، أدَلّ دليل بأنه الأصل في الإجمال والتفصيل، والواسطة حتى في النقير والفتيل، فسبحان مَنْ جعل مُمدّنا من ذلك النور العظيم، وقوامنا بواسطة النبي الحبيب، فله الحمد على ذلك والثناء الفخيم، وعلى نَبِيِّهِ منه له به أَفْضَلُ الصَّلاة والتسليم، وفي هذا المعنى قلتُ:

لـولاك مـا خلَـقَ الوجـودَ إلهُـهُ كـلا ولا ملـك بـدا بشـهود
لولاك ما ملكوت المشرق مبلجًا كـلا ولا جبـروتهن شـديد
لـولاك مـا لاهـوت عظـم شـأنه كـلا ولا ظهـر الصـفات بجـود
لـولاك مـا ذات الإلـه توحَّـدت كـلا ولا شـهدت لكـل سـعيد
لـولاك مـا غُفـرت لآدم زلـة كـلا ولا نـوح نجـا بوحيـد
لـولاك مـا رفعـت ليـونس رتبـة ولَمَـا نجـا مـن حوتـه الموقـود
لـولاك مـا نـار الخليـل تبـرَّدت كـلا ولا عـرف الخليـل حميـد
لـولاك مـا موسـى سـمع لخطابـه كـلا ولا آنـس لنـار شـهود
لـولاك مـا صـار ابـن مـريم روحـه ولَمَـا نطـق فـي المهـد بالتعبيـد
لـولاك مـا كـل النبيـين ارتقـوا رتـب المعـالي وانثنـوا بسـعود
لـولاك مـا نـال الولايـة ذُو وِلا كـلا ولا فَضْـلٌ بَـدا لوجـودِ
سـعدت بـك الأكـوان طـرًّا إنمـا بالأصـل يسـعد فـرع كـل سـعيد
فصـلاة ربـي دائمًـا وسـلامه يغشـاك يـا ذا الفضـل والتمجيـد
ويعـم فرعـك والوجـود بأسـره مـن غيـر مـا عـدّ ولا تحديـد

ولله درّ العارف البكري حيث قال:

ما أرسل الرحمن أو يرسل ... من رحمة تصعد أو تنزل
في ملكوت الله أو ملكه ... من كل ما يختص أو يشمل
إلا وطه المصطفى عبده ... نبيه مختاره المرسل
واسطة فيها وأصل لها ... يعلم هذا كل من يعقل

تنبيه:

العوالم أصناف: الأول عالم المُلك: ما يُشاهد بالبصر ويُسمَّى عالم الناسوت. الثاني عالم الملكوت: ما يُشاهد بالبصيرة ويُسمَّى عالم الغيب وعالم القلب. الثالث عالم الجبروت: ما يُشاهد بعين العظمة عند انكشافه وهو عالم العظمة، عند أبي طالب المكي، وعند الأكثرين العالم الوسط، ويُسمَّى عالم الروح. الرابع: عالم اللاهوت: ما يُشاهد بالسر عند تجلّي الله له ويُسمَّى عالم السر. الخامس: عام الأمر: ما وجد عند الحق بلا سبب. وهذه العوالم كلها مُستمدة من نوره ومُقتبسة من كمال بطونه وظهوره.

صَلِّ اللَّهُمَّ عليه (صَلَاةً تَلِيقُ) أَيْ: رحمة تناسب وتصلح (بِكَ) أَيْ: بجناب عظمتك، وعظيم سلطانك، وكمال برّك وامتنانك، (مِنْكَ) أَيْ: حالة كونها بارزة من ذاتك العلية وصفاتك الربانية، (إِلَيْهِ) أَيْ: إلى حضرة صاحب الرسالة، وقطب دائرة الجلالة، ومقصودك من الوجود، والمخصوص منك بكمال الشهود، روح تجلياتك الذاتية، وعين مظاهر صفاتك الإلهية.

والصلاة التي بهذه الكيفية لا يعلم قدرها أحد من البرية، لعجزهم عن فهم تلك القضية، ومن هنا يظهر للحقير أن هذه الصلاة لا يوازيها شيء من الصلوات إلا ما جاءت به سنته أو ماثلتها في المعنى والصفات، ولذلك قلتُ:

يا مَنْ يريد أن يصل على النبي ... بصلاة أبلغ ما يكون بمذهبي
تلك الصلاة صلاة ابن مشيش مَنْ ... نسبه شريف والولادة مغربي
ويفوق عن تلك الصلاة صلاة مَنْ ... نَارَ الوجود محمد الهادي النبي

(كَمَا هُوَ أَهْلُهُ) أَيْ: كالذي هو أهله يعني كما هو مستأهل له لكمال انكساره وتمام افتقاره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وذلك موجب لتمام الرحمة والمنة، كما يشير إليه قوله سبحانه: «أَنَا عِنْدَ الْمُنْكَسِرَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ أَجْلِي»[٢٦]، وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رُبَّ أَشْعَثَ أَغْبَرَ ذِي طِمْرَيْنِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبَرَّهُ»[٢٧]، وقوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «أَوَّلُ مَنْ يَرِدُ عَلَيَّ حَوْضِي فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ»[٢٨]، وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَدْخُلُ الْفُقَرَاءُ الْجَنَّةَ قَبْلَ الْأَغْنِيَاءِ بِنِصْفِ يَوْمٍ»[٢٩]. وفي روايةٍ: «بِخَمْسِمِائَةِ عَامٍ» وهي نصف يوم القيامة، وقوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مِسْكِينًا»[٣٠]الحديث، إلى غير ذلك من الأحاديث والآثار وكلام العارفين الدالّ على أن كمال الافتقار موجبٌ تمام الانجبار، بل هو نفسه من تمام الفضل،

---

(٢٦) أخرجه أحمد وذكره الرازي في "تفسيره".
(٢٧) أخرجه أحمد والترمذي والطبراني والحاكم والبيهقي والديلمي.
(٢٨) أخرجه ابن ماجه والطبراني
(٢٩) أخرجه وأحمد وابن ماجه والترمذي والطبراني وأبو نعيم والبيهقي والخطيب.
(٣٠) أخرجه ابن ماجه والترمذي والطبراني والحاكم والبيهقي.

إذ هو وقوف على حقيقة العبودية، التي هي أعلى أحوال العبد، ولذا لم يوصف صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في عالي المقامات إلا بها كقوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾[الإسراء: ١]، و﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾[الكهف: ١] إلى غير ذلك.

ولذا قال سيدي ابن عطاء اللَّه رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: تحقَّقْ بأوصافك يَمُدُّكَ بأوصافه، تحقَّقْ بذلك يَمُدُّكَ بعزِّهِ، تحقَّقْ بعجزك يَمُدُّكَ بقدرته، تحقَّقْ بضعفك يَمُدُّكَ بحوله وقوته. وقال أيضًا: ورود الفاقات أعياد المريدين. وقال: الفاقات بسط المواهب، إن أردت ورود المواهب عليك صحح الفقر والفاقة لديك. ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ﴾[التوبة: ٦٠]. ويمكن شرح هذا المكان بغير هذا، ولكن هذا البيان المذكور هو الأصل عند الجمهور، إذ عليه كل ما سواه يدور.

(اللَّهُمَّ إِنَّهُ سِرُّكَ) الذي انفردت به من الوجود وخصَّصتهُ بكمال المحبة والشهود، (الجَامِعُ) لجميع الفضائل والأسرار، والحاوي لسائر التجليات والأنوار، (الدَّالُّ عَلَيْكَ) بظاهره وباطنه وقلبه وقالبه وذاته وصفاته، إذ هو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أقوى الدلائل على اللَّه، وأرجح البراهين على توحيد اللَّه، إذ فيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الآيات الباهرات ما لم يوجد في غيره، منها مثقال حبة بل ولا مقدار جوهر فرد من رمل، بل في الحقيقة هو الدال بعد مولى الموالي، كما يدل عليه قوله سبحانه: «كُنْتُ كَنْزًا مَخْفِيًّا فَأُحْبِبْتُ أَنْ أُعْرَفَ فَخَلَقْتُ الْخَلْقَ لِأُعْرَفَ فَبِي عَرفُونِي»[٣١]، وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

(٣١) ذكره الرازي في "تفسيره".

وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ خَلْقَهُ فِي ظُلْمَةٍ فَأَلْقَى عَلَيْهِمْ نُورَهُ، فَمَنْ أَصَابَهُ مِنْ ذَلِكَ النُّورِ يَوْمَئِذٍ اهْتَدَى، ومَنْ أَخْطَأَهُ ضَلَّ»[٣٢]، إذ المراد بالنور هو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولأن أول مخلوق سيد الوجود صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومنه انشقت العوالم كلها كما تقدَّم، وهل يكون لها دلالة إلا بما فيها من أنوار قطب الجلالة، فهو الدالُّ في الحقيقة على من له الشريعة والطريقة، إذ أسراره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سارية في الوجود، وهي الدالة على الإله المعبود، ولهذا المعنى قلتُ:

يا حاويًا سر الإله بأسره ... أنت الدليل على الجليل ووعده
وسواك ما هو في الدلالة آية ... إلا بإمدادك له وبنصره

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(وَحِجَابُكَ الأَعْظَمُ) من كل حجاب هو لك ظلماني ونوراني. إذ ورد: «إِنَّ للَّهِ سَبْعِينَ أَلْفَ حِجَابٍ مِنْ نُورٍ وَظُلْمَةٍ»، وهو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعظم الحجب كلها، لأن كل حجاب سواه يمكن زواله للسالك وذهابه إلا هو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإنه الحجاب الذي لا يمكن قطعه ولا إزالته، وعنده ينتهي سير كل نبي وولي، ولا يتعدون إلى ما وراء ذلك، كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾[الصافات: ١٦٤].

وبيان ذلك وتوضيحه أن السالك الصادق إذا توجَّه بكمال السير وفنى عن السوى والغير، انكشف له أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قائم بين يدي اللَّه، وأنه سبحانه مُتوجَّه إليه بالتجليات كلها، لأنها مقصوده من الوجود وما

(٣٢) ذكره أحمد والطيالسي والترمذي وابن حبان والطبراني والحاكم والبيهقي.

سواه، فإنما تحصل له رشحات من ذلك تتميمًا لفيض فضله، وتكميلاً لعموم رحمته، فكل مَنْ رامَ حقيقة التجليات انحجب عنها بسيد السادات، فهو الحجاب الأعظم الذي لا يمكن قطعه، وهو رحمة من اللَّه تعالى على عباده لأنهم غير أهل لاستعداده، وكلما فهم من استعدادٍ فإنما هو من الإمداد الحاصل لهم منه، والنور البارز لهم عنه.

ومن هنا يظهر له في حال كمال الشهود أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمنزلة العالم السفلي ومولاه بمنزلة العالم العلوي، وهذا تشبيه وتقريب والأمر وراء ذلك، وفي الإشارة ما يغني عن العبارة، فجاهِدْ تُشاهِد وجِدَّ تَجِدْ، ويفهم من هنا بعض صلاة السادة وهي: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عَرْشِ رَحْمَانِيّتك الْمُسْتَوِي عَلَيْهَا ذات رُبُوبِيَّتِك.

فإن قُلْتَ: إذا قرَّرتَ أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعظم الحجب، فما معنى قول العارف باللَّه تعالى سيدي محيي الدين بن عربي قَدَّسَ اللَّهُ سِرَّهُ الوهبي: السائرون إلى اللَّه تعالى بعزائم الأمور المشروعة على قسمين:

طائفة: ربطت همتها على أن الرسول إنما جاء مُنبّهًا ومُعلِّمًا للطريق المُوصل إلى جناب الحقّ، فإذا أعطى المعلم ذلك زال عن الطريق، وخلَّى بينهم وبين اللَّه تعالى، فهؤلاء إذا سارعوا وسابقوا إلى الخيرات لم يروا أمامهم قدم أحد من المخلوقين، لأنهم قد أزالوه من نفوسهم وانفردوا إلى الحق.

والطائفة الأخرى: جعلوا في نفوسهم أنهم لا سبيل لهم إليه تعالى إلا والرسول هو الحاجب، فلا يشهدون أمرًا إلا وقدم الرسول بين أيديهم،

هكذا قال. ثم قال: والحالة الأولى هي عبد القادر وأبو السعود وابن سنبل ورابعة العدوية، ومن جرى مجراهم اهـ. وظاهره أنه قد ينقطع الحجاب بالكلية كما مشى عليه أهل الطريقة الأولى، وترجيحها على الثانية لنسبته لها لكُمَّل العارفين.

قلتُ: السائرون مختلفون في القوة والضعف، فمنهم مَنْ يسير ومظهرهم تلك الفيوضات والتجليات من تلك الرشحات، ولم يزل دائمًا في ذلك، فيظن أنه قد قطع الحجب كلها، وإذا ما عرض له مظهر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انحجب عن ذلك فيزيله عن نفسه وينفيه، ويظن أن ذلك حجاب مانع، ومن هنا يفهم قول بعضهم بلا نبي بلا رسول ونحوه. ومنهم مَنْ يكون مضطرب الحال، فمرة تعتريه الحالة الأولى ومرة الثانية.

ومنهم مَنْ يسير بهمة عالية فيجوز تلك الفيوضات الحاصلة من الرشحات قاصدًا أعلى المقامات، فينتهي إلى مقام يرى الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حاويًا وحاجبًا لغيره عنه، فمن دنى إلى هذا المقام ليس كمن كان بعيدًا عنه، إذ مَنْ كان حول الحمى يوشك أن يشم رائحته، ومَنْ صار إلى الفناء قد يُلمِّع الله له بارقَتَهُ، وليس هذا في الحقيقة حجابًا مانعًا بل وصولاً نافعًا، فهذا هو الحق الذي لا شك فيه، والكشف الذي لا ريب يعتريه، ولذلك قلتُ نظمًا:

أأقنع بالبروق وأنت روحي ... وأحيى بالوصال وأنت ذاكا
ومقصودي من الدنيا هيام ... ببذل الروح وأهلكُ في حماكا
فإن حماك يا مولاي هذا ... حمى مولاك حقًّا لا انفكاكا

ولـو لـي قـدرة لأذبـتُ قلبـي إذا هـو قـد رأى أحـدًا سـواكا
أيشـهد رؤيـة الأغيـار مَـنْ قـد يشـهد محبوبـه أبـدًا ثواكـا
وأعطـاك المظـاهر والتجلّـي وخصَّـك بالمحبـة واجتباكـا

وبهذا تبيَّن لك أن الطريقة الثانية أعلى وأرجح، ولأنها طريقة أكابر العارفين منهم: العارف باللَّه تعالى السيد الشريف عبد السلام بن مشيش شيخ الأُستاذ أبي الحسن الشاذلي، الذي قال فيه القُطب الحنفي: اطّلعتُ على مقام الجيلاني والشاذلي فإذا مقام الشاذلي أرفع، رحمهم اللَّه تعالى.

ثم هذا القول من الشيخ ابن العربي الأليق حمله عليه اضطراب الحال، وبحسب ما منح من الفيض والنوال، قبل شهود عالي درجات الكمال، فلا يلزم منه أن يكون الشيخ عبد القادر وغيره ممن ذكر هذا طريقه إلا على فهمه، إذ يمكن أن الشيخ ممن اختلف حاله، بل هو يقين عند من ظهر له كماله، فتأمَّلْ هذا الأمر إن كنت ذا بصيرة، ولا تنكشف حقيقة ذلك إلا لمن لُوحظ بالعنايات الكبيرة، ولم أذكر ذلك إلا لبيان منصبه العظيم، وإظهار حق مقداره الجسيم، عَلَيْهِ مِنْ اللَّهِ أَكْمَلُ الصَّلَاةُ وَالتَّسْلِيمُ.

(القَائِمُ لَكَ) أَيْ: الناصب لك ذاته وسرَّه وروحه، قاصدًا تجليات ذاتك ومظاهر صفاتك، لأنها حياة ذاته وروح سر صفاته، (بَيْنَ يَدَيْكَ) أَيْ: في حضرتك لاستئْناسِهِ بك، وقيامه بخدمتك، ولتلقيه التجليات التي لو برز منها ذرة لمن سواه من الوجود لَمَات.

(اللَّهُمَّ أَلْحِقْنِي بِنَسَبِهِ) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هذا دعاء من السيد رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بإلحاق نسبه به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتحقيقه وتأكيده وإن كان هو كذلك ظاهرًا، إذ لا يعلم الباطن إلا الله تعالى، أو دعاء نسبة خاصة تلحقه بأخص الخاصة، وكلا المعنيين يقصدهما كل قارئ لهذه الصلاة شريف النسب، وثانيهما فقط ينويه مَنْ ليس كذلك قاصدًا أعلى الرتب.

كما يشير إليه قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سَلْمَانُ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ»[٣٣]، وقوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في حقه السابق أربعة وعدَّه منهم، وقوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ مِنْ أَصْحَابِي أَرْبَعَةً»[٣٤] وذكره فيهم، وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّهُ أَحد الَّذِين «تَشْتَاقُ إِلَيْهِمُ الْجَنَّةُ». وسُئِل عنه علِيّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: «أَدْرَكَ الْعِلْمَ الْأَوَّلَ وَالْعِلْمَ وَالْآخِرَ، بَحْرٌ لَا يُنْزَفُ»[٣٥].

وهذا النسب هو الأشرف والأكمل، وبه شرف سيد الوجود صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأهل بيته لأنهم معدنه وموطنه، وركنه تمام الافتقار وكمال الانكسار، كما أشار إليه سيد الأخيار بقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مِسْكِينًا وَأَمِتْنِي مِسْكِينًا وَاحْشُرْنِي فِي زُمْرَةِ الْمَسَاكِينِ»، وقوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ آكُلُ كَمَا يَأْكُلُ الْعَبْدُ، وَأَشْرَبُ كَمَا يَشْرَبُ الْعَبْدُ، وَأَجْلِسُ كَمَا يَجْلِسُ الْعَبْدُ»[٣٦]، وحسبك من ذلك: أنه خُيِّر بين أن يكون نبيًا ملكًا أو نبيًا عبدًا، فاختار أن يكون نبيًا عبدًا. ولهذا السر لمَّا

---

(٣٣) أخرجه الطبراني والحاكم وأبو نعيم والبيهقي وابن عساكر.

(٣٤) أخرجه أحمد وابن عساكر.

(٣٥) أخرجه الطبراني والحاكم وأبو نعيم والبيهقي وابن عساكر.

(٣٦) أخرجه أحمد والبزَّار والطبراني والبيهقي وابن عساكر.

تفاخرت قريش عند سلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لكني خُلقت من نطفة قذرة، ثم أعود جيفة منتنة، ثم إلى الميزان، فإن ثقل ميزاني فأنا كريم، وإن خفّ فأنا لئيم.

وقال أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إياكم والفخر، وما فخرُ مَنْ خُلِق من التراب ثم إليه يعود، ثم يأكله الدود؟». وقال عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ما لابن آدم والفخر، أوله نطفة وآخره جيفة، لا يرزق نفسه ولا يدفع حتفه». ولمَّا دخل أويس القرني رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى المزبلة يتقوَّت بما يجد فيها من كسرة ونحوها، نَبَحَهُ كلب فقال أويس: كُلْ مما يَليكَ وأنا آكل مما يليني، إن دخلت الجنة فأنا خير منك، وإن دخلت النار فأنت خير مني.

(وَحَقِّقْنِي بِحَسَبِهِ) لمَّا دعَى بالإلحاق بنسب الذات طلبَ التحقُّق في المعنى والصفات، ليفوز بأعالي المقامات ويحوز أرقى الكمالات، وهو الاتِّصاف بصفات سيد الأشراف والتخلُّق بأخلاق ابن عبد مناف، التي هي أخلاق الرحمن، كما قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ»[٣٧]، والتي أمرنا بها ابن عبد الله قال: «تَخَلَّقُوا بِأَخْلَاقِ اللَّهِ»[٣٨].

وهذا هو الشرف الذي شرف به على سائر الوجود، واجتباه به الإله المعبود، وجعله لأمته الطريقة الحسنة، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[الأحزاب: ٢١]، وجعل محبته سبحانه مترتبة عليه واصطفاه فقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾[آل عمران:

(٣٧) أخرجه أحمد والبخاري في "الأدب المفرد" والطبراني والبيهقي.
(٣٨) ذكره الغزَّالي في "الإحياء" والرازي في "تفسيره".

[٣١].

وحقيقته التطهُّر من الأخلاق النفسية، والتحلِّي بالنعوت الزكية، والتشوُّق بالأحوال الروحية إلى شهود رب البرية، ليحظى بالمرتبة العلية، المرموز بها في قوله سبحانه: «لَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْته كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرَجُلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَلَئِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ»[٣٩]، والمُشار إليها بقوله جَلَّ شأنهُ: «أَعْدَدْتُ لِعِبَادِيَ الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ»[٤٠]، ولم يقيّد ذلك بوقت آجل ولا عاجل، فذو التحقُّق حظه عاجل وآجل.

كما قال سيدي ابن عطاء اللَّه رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: جَلَّ ربنا أن يعامله العبد نقدًا فيجازيه نسيئة. وقال أيضًا: كفى العاملين جزاءً ما هو فاتحه على قلوبهم في طاعته، وما هو مورده عليهم من وجود مُؤانستِهِ. وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إن أردتَ عِزّ الدارين فادخل في طريقتنا يومًا أو يومين. ورأى شخص إبراهيم بن أدهم رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وهو يرقع ثوبه فقال له: ما عوَّضك اللَّه يا إبراهيم عن مُلك بلخ؟، قال: شيء لا يصل إليه عقلك ولكن أظهر لك شيئًا تفهمه، فرمى بإبرته إلى البحر ودعا اللَّه أن يردها عليه، فإذا كل حوتة في فمها إبرة من ذهب، فقال: يا رب ما أردت إلا إبرتي، والتفت إلى ذلك الشخص وقال: هذا مما أعطاني اللَّه مما

(٣٩) أخرجه البخاري والبزَّار وابن حبان.

(٤٠) أخرجه البخاري ومسلم وأحمد وابن ماجه والترمذي والنسائي والطبراني والبيهقي.

تفهمه.

وما أحسن قول سيدي ابن عطاء اللَّه في "مُناجاته": إلهي ماذا وجد مَنْ فقدك، وما الذي فقد مَنْ وجدك؟، لقد خابَ مَنْ رضي دونك بدلاً، ولقد خسر مَنْ بغى عنك معدلاً، كيف يُرجَى سواك وأنت ما قطعت الإحسان؟، أم كيف يطلب من غيرك، وأنت ما بدلت عادة الامتنان؟.

وإذا كان النعيم العظيم شهود ذاته، والخير الكبير في تجلي صفاته، فأَيُّ جزاءٍ يدانيه؟، وأَيُّ نعيمٍ غيره يحاكيه؟، هيهات هيهات. ولذا قال سيدي عمر بن الفارض، ما حكاه سبطه في ترجمته لمَّا مثُلَتْ له الجنة، فبكى وتغيَّر لونه وقال:

إن كان منزلتي في الحب عندكمُ ما قد رأَيْتُ فقد ضيَّعتُ أيامي

قال سبطه: فقلتُ له: يا سيدي هذا مقام كريم، فقال: يا إبراهيم، رابعة العدويَّة وهي امرأة تقول: وعزّتك ما عبدتك رغبة في جنتك بل لمحبتك، وليس هذا ما قطعت عمري في السلوك إليه، فسمعت قائلاً: ما تروم؟ قال:

أروم وقد طال المدى منك نظرة وكم من دماءٍ دون مرماك طلتِ

وهذا التحقيق ينويه كل تالٍ لهذه الصلاة، إذ لا مانع من فضل اللَّه، ولمَّا دعى بالإلحاق بالنسب الذي هو بمنزلة الإسلام، كما صرَّح بذلك سلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بقوله: أنا ابن الإسلام. وطلب التحقُّق بالحسب الذي هو بمثابة الإيمان الكامل، كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لَمَّا جِئْتُ بِهِ»، طلب مرتبة الإيقان لكي يصل إلى مقام الإحسان، فقال:

(وَعَرِّفْنِي إِيَّاهُ) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيْ: اكشف لي عن حقيقته (مَعْرِفَةً) أَيْ: كشفًا تامًّا يوصل إلى يقين وعيان لا بحجة وبرهان، لكي (أَسْلَمَ بِهَا مِنْ مَوَارِدِ الجَهْلِ) الحاصلة من قصور العقل، والناشئة عن عدم معرفة النقل، (وَأَكْرَعُ) أَيْ: أشربُ (بِهَا) أَيْ: بتلك المعرفة التامة، (مِنْ مَوَارِدِ الفَضْلِ) أَيْ: من محل واردات الفضل، وأجرعُ بها من بحار النفل.

(وَاحْمِلْنِي عَلَى سَبِيلِهِ) أَيْ: وسَيِّرني على طريقه وسُننه بفيض فضلك، وكمال مننه، (إِلَى) لزوم ظهور صفتك، ومراقبة شهود (حَضْرَتِكَ) التي لا كيف يوصفها ولا أين يشملها، بل هي المحيطة بجميع الكائنات، ومشهودة للعارفين والعارفات، وهذا مقام الإحسان الذي هو نتيجة الإيقان، المذكور في قول السيد الأوَّاه: «الْإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ»[٤١]، وهو أعلى المقامات، ويُسمَّى المراقبة عند الصوفية السادات، وبعضهم يسميه المشاهدة، ويظهر أنها ثمرته، وفي هذا المقام يحصل الفناء المرام، الذي هو انتهاء سير السالكين الكرام، ويتحلَّى بمقام العرفان الذي أشار إليه أبو يزيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بقوله: العارف على لسانه وصف الربوبية، وعلى أركانه خدمة الديمومية، وعلى نفسه أثر العبودية، وفي قلبه هيبة الفردانية، وفي سره طرب الإلهية، وفي روحه شغب الروحانية.

(حَمْلاً) أَيْ: سيرًا مزفوفًا بجذبتك (مَحْفُوفًا بِـ)إمداد (نُصْرَتِكَ) لا بعزمي وقوتي، فإنه لا حول ولا قوَّة إلا بك يا قوي، وما أحسن قول ابن عطاء اللَّه: إلهي اطلبني برحمتك حتى أصل إليك، واجذبني بمنتك حتى أُقبل

(٤١) أخرجه البخاري ومسلم وأحمد وابن ماجه وأبو داود والترمذي والنسائي والطبراني والبيهقي.

عليك.

ولمَّا فرغَ من طلب الفناء الناتج من دخول الحضرة تشوَّقَ إلى طلب البقاء الذي هو مقام التربية والإرشاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقال: (وَاقْذِفْ) بكسر الذال المعجمة: أَيْ: اَرْمِ (بِي عَلَى البَاطِلِ) هو ضد الحق بقدرتك القاهرة لا بقدرتي الناخرة، وبتأثيرك الكبير لا بتأثيري الحقير، فإنك الفعَّال لا غير، وما أحسن قول ابن عطاء الله في "مُناجاته": إلهي كيف أعزم وأنت القاهر، وكيف لا أعزم وأنت الآمر. وقال أيضًا: إلهي حكمك النافذ ومشيئتك القاهرة، لم يتركا لذي مقالٍ مقالاً، ولا لذي حالٍ حالاً.

وكل هذا طلب للفناء في الأمور كلها، ولو في حالة البقاء المُشار إليه بقوله سبحانه وتعالى: «فَبِي يَسْمَعُ، وَبِي يُبْصِرُ» إلخ، والموحى إليه بقوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾[الأنفال: ١٧]. ولذا قال بعضهم[٤٢] في وصف العارف له:

لذا الجمع فرقٌ يستضِئ به كالجمع في فرقه ما زال يلقيه

وهذا أعلى مراتب العرفان، ولا يحصل إلا بفيض فضل المنَّان، وإليه أشار سيدي ابن عطاء الله، بقوله: إلهي حقِّقني بحقائق أهل القرب، واسلكْ بي مسالك أهل الجذب.

(فَأَدْمَغَهُ) بفتح الميم فعل مضارع منصوب في جواب الدعاء أَيْ: أهشمه وأكسره وأدحضه.

---

(٤٢) البيت لمحمد بن عبد الدائم المعروف بابن بنت المَيْلق.

(وَزُجَّ) بضم الزاي وفتح الجيم المُشدَّدة: أمر من الزج: وهو الرمي، (بِي فِي بِحَارِ الأَحَدِيَّةِ) أَيْ: حضرة ذاتك الصمدية، مع قطع النظر عن الأسماء والصفات الإلهية، لأستأنس بشهود حضرة الذات، ولئلا يتفرَّق جمعي بالنظر إلى الأسماء والصفات. (وَانْشُلْنِي) أَيْ: انزعني بسرعة من مهاوي التقليد، واخطفني بقوة، (مِنْ أَوْحَالِ التَّوْحِيدِ) أَيْ: مزالقه التي لا يسلم منها إلا من سلَّمه اللَّه، ولا يخلص منها إلا من نشله مولاه، ولذلك لما حصل لبعض العلماء الكبار النزع، وكان قد صوَّر ألف دليل على التوحيد، وجاءه الشيطان ورَدَّ عليه تلك الدلائل كلها وقع في وحلة وحيرة، فسمع هاتفًا يقول له: أحدٌ أحدٌ.

ومنها: ما حُكي عن الفخر الرازي أن السلطان حبسه وعزم على قتله، وما له شفيع عنده، قال: فطمعت أن أجمع همي على اللَّه في أمري أن يخلِّصني لمَّا انقطعت الأسباب، وحصل اليأس من كل ما سواه، فما خلص لي ذلك لما يرد عليَّ من الشبه النظرية في إثبات اللَّه الذي ربطت معتقدي العامة، ورميت من نفس نظري وأدلتي، ولم أجد في نفسي شبهة تقدح عندي فيه، وأخلصت إليه ودعوته، فما أصبحت إلا وفرَّج اللَّه عني.

ولهذا الشأن قال الشيخ الإمام العارف باللَّه تعالى حُجَّة الإسلام محمد الغزَّالي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: معرفة اللَّه تعالى وصفاته وأفعاله لا تحصل من علم الكلام، بل يكاد يكون حجابًا ومانعًا. وقال أيضًا: مَنْ عرف الحق بالرجال حارَ في متاهات الضلال، فاعرفْ الحق تعرف أهله.

وقال الشيخ محيي الدين ابن عربي قَدَّسَ اللَّهُ سِرَّهُ: كل مَنْ آمن بدليل فلا وثوق بإيمانه النظري، فهو مُعرَّض للقوادح بخلاف الإيمان الضروري الذي يوجد في القلب ولا يمكن دفعه، وكل علم حصل من نظر وفكر لا يسلم من دخول الشبهة عليه ولا النظر فيه. وقال أيضًا: مَنْ طلبه بالفكر وقوة العقل لم يحصل من المعرفة بالحق على طائل، كيف يطلب من يقبل المثيل والنظير من لا مثيل له ولا نظير؟. ولذا قال عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

كيفية المرء ليس المرء يدركها فكيف كيفية الجبَّار ذي القدمِ
هو الذي أنشأ الأشياء مبتدعًا فكيف يدركه مُستحدَث النَّسمِ

وقال أيضًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كل ما يتصوَّر في الأوهام فاللَّه بخلافه. وعنه أيضًا: إن العقل لإقامة رسم العبودية لا لإدراك الربوبية.

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن اللَّه احتجب عن البصائر كما احتجب عن الأبصار، وإن الملأ الأعلى يطلبونه كما تطلبونه أنتم»[٤٣]، فإذا كان كذلك فالاشتغال بكثرته باطل وحرام إلا لضرورة تدعو إلى ذلك.

قال في "الإحياء": وإلى التحريم ذهب الشافعي ومالك وأحمد وسفيان وجميع أهل الحديث من السلف. قال ابن عبد الأعلى: سمعتُ الشافعي في يوم ناظر حفصًا القرد وكان من متكلمي المعتزلة يقول: لَأَنْ يَلْقَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ الْعَبْدُ بِكُلِّ ذَنْبٍ مَا خَلَا الشِّرْكَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَلْقَاهُ بِشَيْءٍ من الكلام. ولقد سمعتُ من حفص كلامًا لا أقدر أن أحكيه. وقال أيضًا: قد اطلعت من أهل الكلام على شيء ما ظننته قط، ولأن يبتلى العبد بكل ما

(٤٣) ذكره ابن الخطيب في "روض الأخيار" وإسماعيل حقي في "تفسيره".

نهى اللَّه عنه ما عدا الشرك خيرٌ له من أن ينظر في علم الكلام.

وحكى الكرابيسي أن الشافعي رحمه اللَّه سُئِل عن شيء من الكلام؟، فغضب وقال: سَلْ عنه هذا -يعني حفصًا القرد- أو أصحابه أخزاهم اللَّه. وقال أيضًا: لو علم الناس ما في الكلام من الأهواء لفرُّوا منه فرارهم من الأسد. وقال أيضًا: إذا سمعت الرجل يقول: الاسم هو المُسمَّى أو غير المُسمَّى، فاشهد بأنه من أهل الكلام ولا دين له. وقال الزعفراني: قال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: حكمي في أصحاب الكلام أن يضربوا بالجريد، ويُطاف بهم في العشائر والقبائل، ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأخذ في الكلام.

وقال أحمد بن حنبل رَحمه اللَّه: لا يفلح صاحب كلام أبدًا، ولا تكاد ترى أحدًا ينظر في الكلام إلا وفي قلبه دغل. وبالَغَ فيه حتى هجر الحارث المحاسبي رحمه اللَّه مع زهده وورعه بسبب تصنيفه كتابًا في الرد على المبتدعة، وقال: ويحَك، ألست تحكي بدعتهم أولاً ثم ترد عليهم؟، ألست تحمل الناس بتصنيفك على مطالعة البدعة والتفكُّر في تلك الشبهات، فيدعوهم ذلك إلى الرأْيْ والبحث؟.

ولهذا قال السَّرِيّ خال الجنيد وشيخه رحمهم اللَّه: إذا قمت من عندي فمَنْ تجالس؟، قلتُ: المحاسبي، قال: نعم خُذ من علمه وأدبه، ودَعْ عنك تشقيقه في الكلام، ورده على المتكلمين. مع أنه كان لا يتكلم في الكلام إلا وأصحابه يسمعون كأنما على رؤوسهم الطير، ومنهم مَنْ يبكي، ومنهم من يصفق لأحوال تعتريهم. وقال في "الإحياء": المحاسبي خير الأمة في

علم المعاملة، وله السبق على جميع الباحثين على عيوب النفس وآفات الأعمال وأعوار العبادات.

وقال أحمد أيضًا: علماء الكلام زنادقة.

وقال مالك: رأَيْت أن جاءه ما هو أجلل منه أبدع دينه كل يوم له دين جديد. وقال أيضًا: لا تجوز شهادة أهل البدع والأهواء. قال بعض أصحابه في تأويله: أراد بأهل الأهواء أهل الكلام على أيِّ مذهبٍ كانوا. وقال أبو يوسف: مَنْ طلب العلم بالكلام تزندق. وقال أيضًا: لا تجوز الصلاة خلف المُتكلِّم. وقال الحسن: لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم ولا تسمعوا منهم.

وقد اتفق أهل الحديث من السلف على هذا، ولا ينحصر ما نُقِل عنهم التشديدات فيه، وقالوا: ما سكتوا عنه مع أنهم أعرف بالحقائق، وأفصح بترتيب الألفاظ من غيرهم، إلا لعلمهم بما يتوَّلد منه من الشر. ولذلك قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ» أَيْ: المُتَعَمِقُّون في البحث والاستقصاء.

وبهذا تبيَّن أن الاشتغال به داءٌ كبير، بل به ضلَّ الكثير، إذ هو من أوحال التوحيد، ولذا كان الإمام المستقيم الرشيد أبو بكر الشاشي رحمه اللَّه يعيب على أهل الكلام كثرة خوضهم فيه تعالى، وفي ذكر صفاته إجلالاً لاسمه تعالى ولذاته، ويقول هؤلاء يَتَمَنْدَلُون باللَّه عَزَّ وَجَلَّ.

وما أحسن قول سيدي ابن عطاء اللَّه رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى في "مُناجاته": إلهي، كيف يستدل عليك بما هو في وجوده مفتقر إليك؟، أيكون لغيرك

من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك؟، متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك؟، ومتى بعدت حتى تكون الآثار هي التي توصل إليك؟، يا عجبًا كيف يظهر الوجود بالعدم؟، أم كيف يثبت الحادث مع مَن له وصف القدم؟ اهـ . هيهات هيهات ليس ذاك إلا بالنفحات، هيهات هيهات ما ذاك إلا بالجذبات، هيهات هيهات أصل ذلك العنايات.

(وَأَغْرِقْنِي فِي عَيْنِ بَحْرِ الْوَحْدَةِ) المطلقة حتى عن الإطلاق، الظاهرة في سائر الأقطار والآفاق، التي هي عين ما يكون وما كان، الثابتة بـ«كان الله ولا شيء معه»، وهو الآن على ما عليه كان، وحقيقتها وحدة ذاته بكثرة صفاته مع عدم شيء من مخلوقاته، بالنظر إلى جلال ذاته وكمال صفاته، ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾[الرحمن: ٢٦] شاهدةٌ بعدم وجود شيء من الأكوان، ودوام ذي الجلال والإكرام على ما عليه كان، وقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[القصص: ٨٨] أَدَلُّ دليلٍ على أنه لم يكن معه شيء، ولقد قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قَالَهَا الشَّاعِرُ كَلِمَةُ لَبِيدٍ:

أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلُ ... وَكُلُّ نَعِيمٍ لَا مَحَالَةَ زَائِلُ»

ولله در القائل(٤٤):

اللَّهَ قُلْ وذَرِ الوجود وما حوى ... إن كنت مرتادًا بلوغ كمال

فالكل دون الله إن حقَّقته ... عدمٌ على التفصيل والإجمال

واعلم بأنك والعوالم كلها ... لولاه في محوٍ وفي اضمحلال

فالعارفون فنوا ولما يشهدوا ... شيئًا سوى المتكبر المتعال

(٤٤) الأبيات لأبي مدين التلمساني.

وَرَأوا سواهُ على الحقيقة هالكًا في الحال والماضي والاستقبال

ولذا قيل(٤٥):

مُذ عرفت الإله فلم أرَ غيره وكذا الغير عندنا ممنوع

وهذه الوحدة تُسَمَّى وحدة الوجود والوحدة المطلقة، وهي التي بسببها كُفِّر كثير من أكابر العلماء بعض العارفين الأولياء العظماء، كالشيخ ابن عربي وطائفته والعارف عبد الكريم الجيلي والعفيف التلمساني، ومَنْ جرى مجراهم، وذلك لعدم فهمهم معناها مع اعتقادهم لحقيقة مبناها، لأن كل واحد في الوجود يعتقد أن الوجود الحقيقي للّه، وما سواه فَانٍ فإن وجوده مجازي وخيال وباطل بالنسبة إلى وجوده تعالى، لكن ناس من ذلك اكتفوا بالاعتقاد، وآخرون انتقدوا ذلك كمال سهو الانتقاد، فشمَّرُوا في طلبه وطلبوا لسببه، فرأوا سببه «كان اللّه ولا شيء معه» وهو الآن على ما عليه كان، فلما تأملوا في السبب هاموا في الطلب، فلما رآهم المالك كشف لهم حقيقة ذلك، لصدقهم في طلبه وشغفهم في طلبه، فتجلَّى لهم في سائر الوجود، فظهر أن لا وجود إلا الإله المعبود، فتحقَّقُوا بمقام الفناء، وصار كُلٌّ منهم يقولُ: أنا، وليس في الحقيقة لأنه من جملة مَنْ فناهُ الخالق، ولكن لسان الحقيقة الربانية نطَقَ بتلك القضية الأنانية، فتنبَّهْ يا حيران، وافهمْ كلام أهل العرفان. وما أحسن كلام أبي علي الرُّوذَبَارِي رحمه الباري:

إن الحقيقة غير ما يتوهم فانظر لنفسك أي حالٍ تعزم

(٤٥) ذكره ابن عجيبة في "تفسيره" بدون عَزْو.

أتكون في القوم الذين تأخروا عن حقهم أو في الذين تقدَّموا
لا تخدعن فتلوم نفسك حين لا يجدي إليك تأسُّف وتندُّمُ

ولقد صدق بعض العارفين حيث قال[٤٦]:

الطرق شتى وطرق الحق مفردة والسالكون طريق الحق أفرادُ
لا يُعرفون ولا تُدرى مقاصدهم فهم على مهلٍ يمشون قصَّادُ
والناس في غفلة عما يرادُ بهم فجلهم عن سبيل الحق رقَّادُ

وبهذا التحقيق تبيَّن لك أن لا خلاف بين الفريق، ولكن ما تنكشف حقيقة ذلك إلا لمن فنى عن شهود الكونين، وأذهب ذاته من البين، فحينئذ يبرز له نور الحقيقة بسبب اتباع الطريقة، ويشهده سبحانه ظاهرًا مُرتقبًا، وبكمال ظهوره مُحتجبًا، كما قال العارف السودي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

بالظهور الصرف حجب محتجب إنه قد صحَّ هذا في الخبر
أنت فيهم ظاهر وبهم ولهم لولا بقاء الأثر
لو تلاشت عنهم ظلم وانمحوا عن عالم الصور
شاهدوا معناك مُنبسطًا ساريًّا في سائر الفطر
ورأوا أن الحجاب هُمُ عن شهود المنظر النضر
وقضى يعقوب حاجته وانتهى زيد إلى الوطر

وما أعظم قول العارف باللَّه سيدي ابن عطاء اللَّه في "حِكمه": ما حجبك عنه وجود موجود معه إذ لا شيء معه، ولكن حجبك عنه توهُّم وجود شيء معه، لولا ظهوره في المكوّنات ما وقع عليها وجوه إبصار.

---

(٤٦) عزاهُ أبو طالب المكي في "قوت القلوب" لعبد الواحد بن زيد.

وقال أيضًا: مما يدلك على وجود قهره سبحانه أن حجبك عنه بما ليس بموجود معه، كيف يتصوّر أن يحجبه شيء وهو الذي ظهر بكل شيء؟!، وكيف يتصوّر أن يحجبه شيء وهو أظهر من كل شيء؟!، وكيف يتصوّر أن يحجبه شيء وهو الواحد الذي ليس معه شيء؟!، وكيف يتصوّر أن يحجبه شيء وهو أقرب إليك من كل شيء؟، يا عجبًا! كيف يظهر الوجود في العدم؟!، أَمْ كيف يثبت الحادث مع مَنْ له وصف القدم؟!.

وقال أيضًا: مَنْ عرف الحق شهده في كل شيء. وقال أيضًا: الكون كله ظلمة، وإنما أناره ظهور الحق فيه، فمن رأى الكون ولم يشهده فيه أو عنده أو قبله أو بعده، فقد أعوزه وجود الأنوار، وحُجِبت عنه شموس المعارف بسُحب الآثار.

وقال الغزَّالي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى في كتاب تلاوة القرآن من "الإحياء": أما أفعاله فكذكره خلق السماوات والأرض وغيرها، فليفهم التالي منها صفات اللَّه وجلاله، إذ الفعل يدل على الفاعل، فتدل عظمته على عظمته، فينبغي أن يشهد في الفعل الفاعل دون الفعل، فمن عرف الحق رآه في كل شيء، فهو منه وإليه، وبه وله، فهو الكل على التحقيق، ومَنْ لم يره في كل ما يراه فكأنه ما عرفه، ومَنْ عرفه عرف أن كل شيء ما خلا اللَّه باطل، وأن كل شيء هالك إلا وجهه، لا أنه سيبطل في ثاني الحال بل هو الآن باطل إن اعتبر ذاته من حيث هو، إلا أن يعتبر وجوده من حيث إنه موجود باللَّه وبقدرته، فيكون له بطريق التبعية ثباتٌ وبطريق الاستقلال بطلان محض، وكل ما التفت إليه العبد سوى اللَّه تعالى تضمَّن التفاته شيئًا من الشرك

الخفي، بل التوحيد الخالص أن لا يرى في كل شيء إلا اللَّه عَزَّ وَجَلَّ. انتهى كلام الغزالي.

ومن هنا قال سيدي إبراهيم الدسوقي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

تجلَّى لي المحبوب في كل وجهتي فشاهدته في كل معنى وصورة

وقال أبو الحسن التستري رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

كشف الحِبُّ عن قلبي الغطا وتجلَّى جهرة مني إلَيْ
وجلى عني حجابًا كنته وتلاشى الكون يا صاحي لديْ
أَيُّ سِرٍّ ما بدا إلا لمن قد طوى العقل مع الكونين طيْ
ورأى الأشياء شيئًا واحدًا ورأى الواحد فردًا دون شيْ

وفي قوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾[البقرة: ١١٥] دليلٌ لمن هو من أهل اللَّه، وإذا كان لا وجود إلا وجوده ولا فعَّال سواه لم تكن حقيقة الاستعاذة إلا منه، كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ»(٤٧)، ولم يحصل الإمداد للاستعداد إلا عنه كما قال سبحانه: «كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ» إلى آخر الحديث.

ولذا قال الماتِن رَحِمَهُ اللَّهُ: (حَتَّى لاَ أرَى) شيئًا من الموجودات، (وَلاَ أسْمَعَ) أمرًا من الكائنات، (وَلاَ أجِدَ) حالة من الحالات، (وَلاَ أُحِسَّ) بوارِدٍ من الواردات، (إِلَّا بِهَا) أَيْ: بوحدة ذاتك وصفاتك السارية في سائر مخلوقاتك، والغامرة لجميع موجوداتك، والفاعلة لسائر سكناتك وحركاتك، فما في الوجود سواها ولا نعبد إلا إياه بل لا نقصد إلا إياها،

(٤٧) أخرجه مسلم والبخاري في "الأدب المفرد" والطيالسي وابن ماجه وأبو داود والترمذي والنسائي.

بل لا نشهد إلا إياها، وكل أحد من الوجود في بحر ذاتها مفقود، وبعين وجودها موجود، لكن لا يشهد حقيقة ذلك إلا العارفون، ولا يتشرَّف بمرآها إلا المحبون. وما أحسن قول بعضهم(٤٨):

إذا ظهر العبد من كونه ... يكون الإله هو الناطقُ
كمثل المصلي إذا قام من ... ركوع الصلاة هو الصادقُ
ينوب عن الحق في نطقه ... فليس يقوم به عائقُ
فكل كلام له صادق ... وكل شراب له رائقُ

ولله در العارف بالله تعالى أبي الحسن النوري حيث قال: إن لله عبادًا يغدون بالله ويروحون بالله، وينطقون بالله، ويحيون بالله ويموتون بالله، ويرجعون في كل أمر إليه، ويتوكلون عليه، ويبقون بجميل نظره إليهم.

ومن هذا البيان يُفهم قول العارف بالله تعالى سهل بن عبد الله التستري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لي أربعون سنة أُكلِّم الله والناس يظنون أني أُكلِّمهم. ونحوه. إذا مَنْ كان لا يرى إلا مولاه كيف يمكنه كلام أحد سواه؟، بل لو كان في تمام فناه قال: أنا المُتكلِّم الله، إذ عند اضمحلال الوجود لم يكن الناطق إلا الله المعبود، كما يشير به قوله تعالى: «فَبِي يِنْطِقُ»، ويوضحه قوله: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾[غافر: ١٦].

وكل هذه إشارات يعرفها أربابها، وبصحبتهم ينكشف نقابها، فاقصدْ الله، وتمسّكْ بأهل الله إن أردت الوصول إليه ومعرفة مكاناتهم لديه، ومَنْ كان لا يرى ولا يسمع ولا يجد ولا يحس إلا بالله ماذا يريد بعده، وماذا

(٤٨) الأبيات للشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي.

ينكر عليه؟ إذ أفعال أفعاله سبحانه وصفاته صفاته، والله تعالى يقول الحق وهو يهدي السبيل: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾[الأنفال: ١٧] ولكن نحن الرامون في الحقيقة، إنك ما هديت مَنْ هديته ولكن نحن الهادون للطريقة، ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾[الواقعة: ٦٣-٦٤]، ﴿قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾[النساء: ٧٨]، وفي قوله: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾[الصافات: ٩٦] أظهر آية لمن يبصرون.

وحيث كان السير لا ينقطع أبد الآباد، والسلوك دائمًا إلى يوم التناد، والترقي سرمَدا في ازدياد، كما قال شيخ الشيوخ العارف السهروردي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى في "عوارفه": أهل الجنة لا يزالون أبد الآباد في الترقي لعدم انتهاء مطلوبهم.

«وَكَمَا صَلَّى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حَتَّى تَوَرَّمَتْ قَدَمَاهُ، فَقَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي أَمَا نَزَلَتْ فِي حَقِّكَ: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[الفتح: ٢]؟، قَالَ: أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا»[٤٩]. طلب سيرًا أرقى من السير السابق، ليستعين به على كمال شهود الفرد الخالق، فقال بلسانه المُحكم مطابقًا لجنانه المُغرم.

(وَاجْعَلِ اللَّهُمَّ الْحِجَابَ الأَعْظَمَ) قد مَرَّ بيانه وتبيانه أنه الرسول الذي عَظَّم شأنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ تعالى جده وسلطانه، (حَيَاةَ رُوحِي) الروحانية لتترقى من محبتها الذاتية، وتتحلَّى بشوق خير البرية، (وَرُوحِهِ) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (سِرَّ حَقِيقَتِي) أَيْ: لُبَّ حقيقتي النورانية لتكمل أنوارها، وتغمر

(٤٩) أخرجه البخاري ومسلم وأحمد وابن ماجه والترمذي وابن حبان والطبراني والبيهقي.

بمحبته روحه بحارها، (وَحَقِيقَتِهِ) عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَيْ: أسراره، (جَامِعَ عَوَالِمِي) أَيْ: حاوي أسراري وأنواري كي لا تهيم روحي في محبة خالقها إلا بشوقه، ولا تنير حقيقتي إلا بغرام روحه، ولا يصير جامع عوالمي إلا حقيقة ذاته، وإذا أذهب عينه من البين لم يبق إلا استعداد حائز الشرفين وسيد الكونين، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وشَرَّف وكَرَّم ومَجَّد وعَظَّم، وهذا مقام الفناء في الرسول المُوصِل إلى كمال الوصول.

فإن قيلَ: كيف يطلب الشيخ الفناء في اللَّه بقوله: وأغرقني في عين بحر الوحدة إلخ، ثم يُؤخِّر طلب الفناء في الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مع أن عادة اللَّه في أوليائه جارية بعكس هذا؟.

قلتُ: هذا لا يصح إيراده لمن له ذوق عظيم وفهم مستقيم، لأن كلام الشيخ من أول الصلاة فناء فيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يعرف ذلك مَنْ كان من أربابه، وقد تخلَّى من حجابه، وليس هذا إلا فناءً خاصًّا يرقيه إلى مرتبة خاصَّة، يشير إليها قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لَمَّا جِئْتُ بِهِ»[٥٠].

وقد جاءنا بثلاثة أشياء يفترض محبتها ولزومها: الأول: ذاته الشريفة: وقد بالغ في محبتها، وجعلها حياة روحه التي بها ذكر. الثاني: صفاته المنيفة: وقد أشار إلى محبتها بقوله: وروحه سر حقيقتي. الثالث: ما نبأنا به عن اللَّه وهو شامل للكل، وقد أومأ إليه بقوله: وحقيقته جامع عوالمي.

---

(٥٠) أخرجه ابن أبي عاصم والخطيب والبغوي والسلفي وأبو نعيم والبيهقي.

فإذن لا ذات له ولا صفة فضلاً عن هوى، وهذه الرتبة هي الاستقامة التي ما فوقها كرامة. كما قال بعض العارفين رحمهم اللَّه أجمعين: ذرة استقامة خير من ألف كرامة. وما من أحد من العارفين إلا ويطلبها أبدًا من اللَّه حالاً ومقالاً، يعرف ذلك مَنْ منحه اللَّه ما هنالك. قال ابن عطاء اللَّه رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: مطلب العارفين من اللَّه تعالى الصدق في العبودية والقيام بحق الربوبية.

(بِتَحْقِيقِ الْحَقِّ الأوَّلِ) أَيْ: مع تحقيق عنايتك السابقة ودوام إمداداتك المتلاحقة، لتكون الآخرة الخاتمة على وفق العناية الدائمة.

ولمَّا كان مطلوبه أعلى المطالب ومأربه أسنى المآرب زَادَ وألحَّ في الدعاء بقوله: (يَا أوَّلُ) ولا أول معه ولا أولية، (يَا آخِرُ) ولا شيء معه ولا آخرية، (يَا ظَاهِرُ) ولا لغيرك ظهور، (يَا بَاطِنُ) في الخفية والظهور، (اسْمَعْ نِدَائِي) في حالتيْ بقائي وفنائي، (بِمَا سَمِعْتَ نِدَاءَ عَبْدِكَ زَكَرِيَّا) بالسمع الخاص مُجيبًا بكُنْ من أهل الخواص، فإني كسير وحيد فريد، وبافتقاري وعجزي حاضر عنيد، وذلك دأب الداعين الصادقين كما قال: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾[الأنبياء: ٨٩].

واختار السيد رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى أن يكون سمع دعائه عين سمع نداء السيد زكريا صَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لما في النداءَيْن من التشبيه في كمال الانكسار الموجب تمام الانجبار، ولأن العارف مَنْ يشهد أن لا شيء في الوجود ينفع ويضر إلا اللَّه المعبود، بل ولا يرى في حال الشهود إلا مَنْ هو عين الوجود، وحينئذ يبقى وحيدًا فريدًا لا والدَ ولا وليدًا،

فيطلب صديقًا وارثًا وليس له دون اللَّه حبيبًا ولا وارثًا، فكأنه بسائر أدعيته يطلب أن يرثه المولى بكليته، إذ هو خير الوارثين، فإرثه ذات العارفين لا سيما المحبين الصادقين، سبحان مَنْ وهب الكلّ ملكًا بالتفضُّل ورثة.

ولمَّا كان المقصود دوام الشهود وكان شأن القلب التقلُّب واختلاف التطلُّب، طلَبَ الإمداد بالنصرة والتأييد، بذات مولاه العزيز الحميد، فقال: (وَانْصُرْنِي) على تقلُّب قلبي، (بِكَ) أَيْ: بذاتك الربانية وصفاتك الإمدادية، لكي أكون (لَكَ) عبدًا وقاصدًا ولشهود ذاتك حاضرًا مُراصدًا، (وَأَيِّدْنِي بِكَ) أعني بذاتك الصمدية لا بذات غيرك العجزية، وبنعوت القوية أدوم (لَكَ) مُشاهدًا وفي خدمتك مُجاهدًا.

وكُلُّ هذا طلبٌ للجذب مع التحقُّق بمقام القرب، الذي أفصح عنه ابن عطاء اللَّه بقوله: إلهي حقِّقْني بحقائق أهل القرب، واسلكْ بي مسالك أهل الجذب.

ولمَّا كان المراد من الجذب المطلوب جمع القلب بالحبيب المحبوب ونفي ما سواه من ساحات القلوب قَالَ: (وَاجْمَعْ بَيْنِي وَبَيْنَكَ) أَيْ: بين ذاتك الربانية وبين ذاتي العبدية، لتكمل إضافتي الشريفة بالاتصال بإضافتها المنيفة، كما قلتُ:

كفى شرفًا أني مضافٌ إليكم ... فجودوا بوصل دائم بلديكمو

ليكمل تشريفي وتعظيم رتبتي ... وأحظى بمقصودي وأحسب عليكمو

وليتم المقصود بالنظر إلى جمال المعبود، ولتكون ذاتي في المزيد، وكل آتٍ يمرُّ فرحٌ وعيد، كما قيل[٥١]:

إن يومًا جامعًا شملي بكم ذاك عيدٌ ليس لي عيد سواه

وما قيل[٥٢]:

أرى موسم الأعياد أُنس الأجانب وما العيد عندي غير قرب الحبايب

وروَى الشبلي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى أنه كان خارج مسجد يوم عيد وهو يقول:

إذا ما كنت لي عيدًا فما أصنعُ بالعيد؟

وكيف لا يطلب الجمع المراد، وهو روح حياة أهل الوداد. وللَّه در العارف باللَّه تعالى شهاب الدين يحيى السهروردي، حيث قال:

أبدًا تَحِنُّ إليكم الأرواح ووصالكم ريحانها والراح

وقلوب أهل ودادكم مشتاقةٌ وإلى لذيذ وصالكم ترتاح

وا رحمة للعالمين تكلفوا ستر المحبة والهوى فضَّاح

وقال أبو علي الرُّوذَبَارِي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

روحي إليك بكلها قد أجمعت لو أن فيك هلاكها ما أقلعت

تبكي إليك بكلها عن كلها حتى يقال من البكاء تقطَّعت

فانظر إليها نظرة فلطالما متعتها من نغمة فتمتعت

---

(٥١) ذكره ابن رجب الحنبلي في " لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف".

(٥٢) المصدر السابق نفسه.

وقال بعضهم[٥٣]:

يـا عـذولي سـلم إليـك قيـادي ... ثـم دَعْنِـي فمـا عليـك رشـادي
حبـــه راحتـــي وروح حيـــاتي ... وكـــذا ذكـــره بلاغـــي وزادي
وإذا مـا مرضـت فهـو طبيبـي ... كلمـا عـادني بلغـت مـرادي
ومتـى مـا ضـللت أو ضـلّ ركـب ... عـن حمـاه فوجهـه لـي هـادي
يـا عـذولي فكـن عليـه عـذيري ... أو فقـل لـي مـا حيلتـي واجتهـادي
إن تلمنـــي أو لا تلمنـــي فـــإني ... حبـه مـذهبي وأصـل اعتقـادي

ولأجل هذا الشأن قال بعضهم[٥٤]:

فمـا مقصـودهم جنـات عـدن ... ولا الحـور الحسـان ولا الخيامـا
سـوى نظـر الجليـل فـذا منـاهم ... وهـذا مطلـب القـوم الكرامـا

واعلم أن الجمع باللَّه تعالى عبارة عن شهود تجلياته الذاتية، مع عدم شهود شيء من البرية، مع تنزيه الذات والصفات عن كل ما يجري في الأوهام والإشارات، ولا يحصل ذلك إلا لمن خطفته الجذبات الإلهية بما سبق له من العنايات الربانية، وقد جعل اللَّه لذلك سببًا ظاهرًا، وهو المجاهدة المُعبَّر عنها باتباع الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ظاهرًا وباطنًا في الأفعال والأقوال والأحوال، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[العنكبوت: ٦٩]، وقال جَلَّ شأنه: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾[آل عمران: ٣١].

---

(٥٣) عزاهُ أبو الفتح اليونيني في "ذيل مرآة الزمان" لمحمد عز الدين الأنصاري المقدسي.
(٥٤) الأبيات قيل: أنها للسيد عبد القادر الجيلاني وقيل: غيره.

وقال سيد الطائفة الجنيد محمد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الطرق كلها مسدودة إلا على مَنْ اقتفى أثر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وقال أبو حمزة البغدادي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: مَنْ علم طريق الحق سَهَّل اللَّه له سلوكه، ولا دليل على الطريق إلى اللَّه تعالى إلا متابعة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أقواله وأفعاله وأحواله. وما أحسن ما قيل: جاهِدْ تشاهد وَجِدّ تَجِد.

ولمَّا طلب الجمع توجَّه إلى طلب المانع مما يكدر صفاه، فقال: (وَحُلْ بَيْنِي وَبَيْنَ غَيْرِكَ)، أَيْ: كُنْ أنت حائلاً بيني وبين مَنْ سواك حتى لا أشهد ولا أرى إلا إِيَّاك، فإنك المطلوب المرام وما سواك باطل وحرام، كما قيل[٥٥]:

تأمَّلْ سطور الكائنات فإنها ... من الملك الأعلى إليك رسائل
وقد خطَّ فيها لو تأمَّلتَ سطرها ... ألا كل شيء ما خلا اللَّه باطل

وما قيل[٥٦]:

ولو خطرتْ لي في سواك إرادة ... على خاطري سهوًا قضيتُ بِرَدَّتِي

وقال سيدي العاشق للَّه، عبد الهادي السودي رَحِمَهُ اللَّهُ:

لغير جمالكم نظري حرام ... وغير كلامكم عندي كلام
وَعُمر النسر عندي بعض يوم ... وساعة غيركم عام فعام
وصبري عنكمُو شيء محال ... وإن غبتم دنا مِني الحِمام
أوَدُّ بأن أكون لكم نزيلاً ... وتنصب لي بربعكم خيام

(٥٥) البيتان لركن الدين ابن القوبع المالكي.
(٥٦) البيت لعمر ابن الفارض.

وقال بعضهم[٥٧]:

لا بلَّـغ اللَّه عينـي طيـب رؤيـتكم ... إن طاب للسمعِ يومًا غير ذكركمُ
إن مت في حبكم يومًا فيا شرفي ... ويـا سـروري بمـوتي فـيكمُ بكـمُ
وإن نويتُ اصطباري عن محبتكم ... عـدمت جمـع مسـراتي بأنسـكمُ
نسـيت كـل طريـق كنـت أعرفهـا ... إلا طريقًـــا تـــؤديني لـــربعكمُ

وقال آخر[٥٨]:

كانـــت بقلبـــي أهـــواء مفرَّقـــة ... فاستجمعت مذ رأتك العين أهوائي
تركـت للنـاس دنيـاهم وديـنهمُ ... شـغلاً بحبـك يـا دينـي ودنيـائي

ويقول الفقير هذه الأبيات تفاؤلاً في أثرهم وثراهم، وأن يمنح مما منحهم به محبوبهم ومولاهم:

كـل شـيء غيـركم فهـو السـراب ... أنـتم المطلـوب بـدءًا والمـآب
لـو ثنـى قلبـي لُمَيْحًـا عـنكمُ ... مـا شـمَّ روحًـا ولا ذاق المطـاب
مـا الجنـان الخلـد إلا بكـمُ ... حازت الراحات والأُنس العباب

ولهذا الشأن قال سلطان العارفين أبو يزيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إن للَّه عبادًا لو حجبهم اللَّه في الجنة عن رؤيته استغاثوا من الجنة كما يستغيث أهل النار من النار. وقال أيضًا: للَّه عباد لو حجبهم عنه طرفة عين ثم أُعطوا الجنان ما قبلوا. وقال سيد الطائفة أبو القاسم الجنيد رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: الغفلة عن اللَّه أشدّ من دخول النار. وقال بعضهم: لو حُجِب عني طرفة

(٥٧) الأبيات قيل: أنها لأبي المواهب الشاذلي محمد بن أحمد.
(٥٨) البيتان للحسين بن منصور الحلَّاج.

عين لتقطّعتُ من ألم البَيْن، أو لما عددت نفسي من المسلمين.

واعلم أن قصد العارفين والمحبين شهود المحبوب في كل الأنفاس والأحوال، فمتى ما انثنى قصدهم عن ذلك إلى غيره -ولو إلى أعلى الطاعات والقربات- عَدُّوا ذلك من عظيم السيئات.

ومن هنا يفهم قول العارف باللَّه تعالى عمر بن الفارض، أمدَّنا اللَّه بمدده الفائض: ولو خطرت لي في سواك... البيت السابق، إذ من كان قصده شهود محبوبه في سائر أنفاسه، وهو الغرض الذي ما وراءه غرض، بل هو حقيقة التوحيد عند العارفين أولي التفريد، كما قال بعضهم: المُوحِّد هو الذي لا يرى إلا الواحد الحق، ولا يتوجَّه ببصيرته إلا إليه، وإذا كان كذلك فشهود كل ما سواه أو خطوره بالبال شركٌ خفِيٌّ عند العارفين أولي الكمال، وذلك رِدَّة في حقهم إذ سيئاتهم بقدر حالهم، لا بالنظر إلى موجب الشريعة، وليست هذه الردة كفرًا عندهم، بل من كبائر تقتضيها مقاماتهم.

وها هنا أسرار لا تفشى والأدب السكوت، ولذلك قال الشبلي لتلميذه الخضري رحمهما اللَّه تعالى: إن خطر ببالك من الجمعة إلى الجمعة غير اللَّه لا تعدّ ثانيًا. وكان يأتيه في كل أسبوع مَرَّة. وقال بعض العارفين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: وتداوم على قراءة القرآن من حيث هو كلام اللَّه، لا من حيث التفكُّر وبمدلولاته من الأكوان، كالجنة والنار والثواب والعقاب والحساب وغير ذلك، حتى إن بعض السلف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قال: إني ليعترني الوسواس في الصلاة، قيل له: كيف ذلك؟ قال: أكون في الصلاة فأذكر

مقامي بين يدي ربي.

وقالت رابعة العدوية رحمها اللَّه: استغفارنا يحتاج إلى استغفار. إذ طلب المغفرة بالنسبة إلى الشهود معصية، لأنه من باب شهود الأغيار، وذاك من معاصي العارفين الأخيار يحتاج إلى استغفار، فصاحب شهود الغفَّار يكون القصد فيه أولاً شهود الواحد القهَّار، ثم طلب نحو ما تقدَّم من شهود رؤية الأغيار، وهذا لكونها أضافت الاستغفار إلى نفسها لكونها من العارفين، إما إن نزّلت نفسها منزلة العوام للانكسار وإظهار الافتقار، فذاك أمرٌ جلي، ظاهر بديهي لذوي الأبصار.

وقال سهل بن عبد اللَّه التستري رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: التوبة فرضٌ على العبد في كل نَفَسٍ. وهو قول حق لا يعرف معناه إلا الكُمَّل من عباد اللَّه، ومن أراد اللَّه له السعادة بشهوده في سائر الأنفاس.

ويستأنس له بما في "سُنن أبي داود" و"الترمذي" عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ مِائَةَ مَرَّةٍ: رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ». قال الترمذي: حديث صحيح. هذا من سيد الوجود صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المُيسِّر في الأمور والمُبيِّن لنا ما نفتقر إليه على مَرِّ الدهور، المُطهِّر من جميع الأوزار، المُنتخِب من سائر الأخيار، الذي هو روح التجليات، فكيف بغيره ممَّن لم يمنح ذرة من تلك الأنوار، وفي الحقيقة ليس هو شيء، أفلا يتوب من جميع الذنوب التي هي شهود الأغيار، المُكدّرة صفاء مشاهدة الستَّار، ولو كانت من أعظم طاعات الأبرار والأخيار، إذ

كل ما سواه فانٍ، وهو الذي ليس له ثانٍ، ومَنْ كان مطلبه شهود السلطان هل يشتغل بشهود الأخدان؟، ولذا قال بعضهم:

إذا كنت في وقت عن الحق غافلاً فأنت به في الكفر لكن بخفية
فإن دمت في ذا الحال صاحب غفلة فبابك في الإسلام سد بجفوة

وهذه ذنوبهم أما من كان مثلي فذاك بالنسبة إليهم أدنى من الحمار، لأنه بهيمة سارحة في صحاري الأغيار، بل لو ذاق ذرة مما ذاقوه لعدَّ نفسه من المشركين الفُجَّار. اللَّهُمَّ نسألك التوبة من كل ما سواك، فإنك أمرتنا أن لا نعبد إلا إيَّاك، وأنت التواب الرحيم.

ومعنى الفرض الذي قاله: التقدير الذي تقتضيه الحقيقة لا الفرض الشرعي الثابت بالدليل القطعي، لأن ذاك لا يكون إلا من قبل الشارع، وليس له في ذلك معارض ولا منازع، كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ لَا أُحِلَّ حَرَامًا وَلَا أُحَرِّمَ حَلَالاً»[٥٩]، واتفاقهم أن حسنات الأبرار سيئات المُقرَّبين أقوى الحجج في ذلك والبراهين، فتأمَّلْ ذلك بالعين الخبيرة، وكُنْ من معرفة كلام أهل اللَّه على بصيرة، وخذ ما منح به رب العالمين من التحقيق والكشف المبين، ليكون أصلاً لك في حلِّ ما يشكل من كلامهم، على ما هو التحقيق في قصدهم ومرامهم، وللَّه در القائل[٦٠]:

ستبدو لك الأسرار بعد اكتتامها كأنَّ الذي قد صانها عنك يخبر

(٥٩) أخرجه البوصيري في "إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة" ابن حجر في "المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية".

(٦٠) قيل: أنها منسوبة لأحد المجاذيب كان خاملاً فيما قبلها.

فسلِّمْ لهم فالقوم أهل عناية وجاملهم في الوصف لا يحتقر
وإن كنت في أذيالهم متمسكًا فتبقى طول الدهر لا تتغير

وكيف يعترضون وهم عند اللَّه المكرَّمون، قال جلَّ شأنه: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[الحجرات: ١٣]، وهم المُحقّقون بالتقوى لا غير. وفي حديث الذاكرين: «هُمُ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ»(٦١)، وهل ذاكر اللَّه حقيقة إلا حقيرهم ورئيسهم.

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِن لِلَّهِ عِبَادًا مَنْ نَظَرَ فِي أَحَدِهِمْ نَظْرَةً سَعِدَ سَعَادَةً لَا يَشْقَى بَعْدَهَا أَبَدًا»(٦٢)، وهل يكون هذا العبد غير من أحبَّ ربه وأراد، أو غير من هو حبه وأجاد، هيهات هيهات ما المحبوب إلا هم، هيهات هيهات ما المقصود إلا هم، هيهات هيهات ما الممنوح غيرهم، وقد حقَّقتُ شأنهم في "شرح الزم باب ربك"، فإن أردته فتأمَّلْ فيه بلُبِّك.

ولمَّا كان الإلحاح في الدعاء مندوبًا ومطلوبًا لا سيما عند العارفين لتحقُّقهم بكمال الانكسار وتمام الافتقار، ولكونه حياة روحهم لما فيه من مناجاة حبيبهم، كما قال في "الحِكم": العارف مَنْ لا يزول اضطراره، ولا يكون مع غير اللَّه قراره.

زادَ ولَحَّ بقوله: (اللَّه اللَّه اللَّه) ثلاثًا مُضمرًا لحرف ندائه لكونه في حضرة فنائه، وهذا على ما أجازنيه مَنْ أخذتُ عنه الصلاة على ما سمعته من بعض قارئيها، فإن كان ذلك لما يتوهّمه كثير من العلماء من أن الذكر

(٦١) أخرجه مسلم وأحمد والطبراني والحاكم وأبو نعيم والبيهقي.
(٦٢) ذكره أحمد زروق في "النصيحة الكافية".

بالمفرد غير جائز فهو غير صحيح، وقد ردَّهُ بعض المُحقِّقين العارفين، وإن كان هذا الإضمار تلقوه عن صاحب الصلاة فلا كلام، وبيانه أنه دعاء كما مَرَّ، والذي يظهر للحقير أن عدم الإضمار أولى لأنه لما دعا بالجمعية وطلب للإحالة المنعية، صار كالكائن في الحضرة العلية، ومَنْ كان حاضرًا ولمقصوده ناظرًا كيف يدعوه وينايه وهو في حضرته وناديه، بل مَنْ كانت هذه حالته تخرس عبارته وتنمحق إشارته، ولذا قال أبو يزيد رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: أكثر الناس إشارة إليه أبعدهم منه. إذ الحاضر لا يحتاج إلى إشارة بل في هذا المقام يخرس عن العبارة، وكيف يذكر المُعاين في العيان؟، أو يقام على الحاضر دليلٌ وبرهانٌ؟، وأنشد عارفٌ[٦٣]:

ما إن ذكرتك إلا هم يلعنني ... قلبي وروحي وسري عند ذكراك

حتى كأنَّ رقيبًا منك يهتف بي ... إياك ويحك والتذكار إياك

ومن هنا تفهم قول بعض العارفين: الذكر حجاب اللَّه الأكبر، إذ هو مانع من الشهود والمراقبة. قال بعض المُحقِّقين: بل لا يتصوّر الذكر معها لأنه يقتضي النسيان. ولذا لما قيل: للشبلي متى تستريح؟، قال: إذا لم أرَ للَّه ذاكرًا، إني لا أستريح إلا إذا دخلت حضرة الشهود، لأنها لا ذكر فيها استغناء عنه بالشهود، لأن الذكر إنما هو للغائب، ولكن منهم مَنْ يأخذه الحال فينطق بلا اختيار قاصدًا أن ما شهده هو اللَّه فيقول: اللَّه اللَّه اللَّه. ومنهم مَنْ تظهر له الحقيقة فيقول: هو هو، والمراد اللَّه المشهود وهو الموجود.

(٦٣) ذُكر في "الرسالة القشيرية".

وحيث أشعر الدعاء والذكر بالفرق وكان حال العارفين دائرًا بينهم، وهم بين جمعٍ وفرقٍ ومقصودهم الجمع لأنه حياة أرواحهم وغذاء أشباحهم، أعرض عنهم إلى شهود الجمع بتلاوة قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾[القصص: ٨٥]، أَيْ: إن الذي قدر عليك الدعاء يا قلب وردَّكَ إلى مقام فرقك بقوله: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[غافر: ٦٠] لرادُّكَ إلى مقام جمعك، وهذه إشارة بعد ثبوت تفسير العبارة، فافهم إشارة العارفين بعد اعتقاد حقيقة كلام رب العالمين.

ولمَّا شرف بمقام الجمعية استشرف لمقام الفرقية، لكونه لا يزال دائرًا بين المقامين، لكونهما دائمًا متلازمين، فقال:

(﴿رَبَّنَا آتِنَا﴾) أَيْ: أعطنا هو فرقٌ بعد جمعٍ، (﴿مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً﴾) أَيْ: من عندك رحمةً خاصة، وهذا جمع بعد فرق، (﴿وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا﴾) أَيْ: أصلح لنا شأننا، وهذا فرقٌ أيضًا بعد الجمع، (﴿رَشَدًا﴾) أَيْ: اهتداء إليك لنفوز بك وبما لديك، وهذا أيضًا جمع بعد الفرق، وقد ختم دعاءه به لأنه المقصود الأعظم والمرام الأشرف الأكرم، كما قيل[٦٤]:

كم منزل في الأرض يألفه الفتى ... وحنينه أبدًا لأول منزل

نقِّلْ فؤادك حيث شئت من الهوى ... ما الحب إلا للحبيب الأول

وما قيل[٦٥] أيضًا:

أمرُّ على الديار ديار ليلى ... أُقبِّل ذا الجدارَ وذا الجدارا

---

(٦٤) البيتان لأبي تمَّام حبيب بن أوس.

(٦٥) البيتان لمجنون ليلى قيس بن الملوح.

وما حب الديار شغفن قلبي ولكن حب مَنْ سكن الديارا

وما قيل[٦٦] أيضًا:

اللَّهَ قُلْ وذر الوجود وما حوى إن كنت مرتادًا بلوغ كمال

فالكل دون اللَّه إن حقَّقته عدم على التفصيل والإجمال

وهذه الآية الأخيرة تُتلى ثلاث مرَّات كالجلالة السابقة، وحكمة تكرارها ما في الأخيرة من الوسيلة إلى المقصود، وما في الجلالة من المطلوب المراد لكل الوجود، وشأن المحب الراشد تكرار الوسائل والمقاصد، والتردد في المآثر والمعاهد.

وإلى هنا انتهى ما منح به الملك العلَّام على هذه الصلاة، فالمنَّة له لا لأحدٍ سواه، والصلاة والسلام منه على خير أنبياه.

قال الشارح الخرُّوبي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى -وهو أحد الأفاضل الذين شرحوا هذه الصلاة غير هذا الشرح- : زَادَ بعضهم في الصلاة المذكورة زيادةً حسنةً هي قوله: (﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾، صَلَواتُ اللَّه تَعَالَى، وسَلامُهُ وَتَحياتُهُ وَرَحْمَتُهُ وَبَرَكاتُهُ، عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَنَبِيِّكَ وَرَسُولِكَ، النَّبِيِّ الأُمِّيِّ، وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ، عَدَدَ الشَّفْعِ وَالوَتْرِ، وَعَدَدَ كَلِماتِ رَبِّنا التَّامَّاتِ المُبَارَكَات، سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ، وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ، وَالْحَمْدُ للَّه رَبِّ الْعَالَمِينَ).

(٦٦) البيتان لأبي مدين التلمساني.

وهذه خاتمةٌ حسنةٌ في فوائدٍ مُستحسنةٍ:

لمَّا كانت الصلاة جامعةٌ لكثير من الفضائل وجليل من الأسرار والفواضل، أحبَّبتُ أن أختم شرحها بفوائد جامعة مثلها ترشيحًا لها وتذييلاً وإتمامًا لفائدتها وتكميلاً، ولكن أصل ذلك كله الاعتقاد والتصديق وحسن النية والإخلاص كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ بَلَغَهُ عَنِ اللَّهِ فَضِيلَةٌ فَلَمْ يُصَدِّقْ بِهَا لَمْ يَنَلْهَا» أخرجه الطبراني في "الأوسط" عن أنس.

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ»(٦٧). ووَرَدَ عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَفْضَلُ الذِّكْرِ»(٦٨)، وفي روايةٍ: «أَفْضَلُ الْحَسَنَاتِ»(٦٩)، وقد وَرَدَ في فضلها شيءٌ كثيرٌ فينبغي الإكثار منها.

وَعَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، إِلَهًا وَاحِدًا أَحَدًا صَمَدًا، لَمْ يَتَّخِذْ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، عَشْرَ مَرَّاتٍ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ أَرْبَعِينَ أَلْفَ أَلْفِ حَسَنَةٍ». رواه الديلمي في مسنده "الفردوس".

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ دَخَلَ السُّوقَ فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، يُحْيِي وَيُمِيتُ، بِيَدِهِ الْخَيْرُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، كَتَبَ اللَّهُ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ حَسَنَةٍ»(٧٠).

---

(٦٧) أخرجه البخاري وابن ماجه وأبو داود والنسائي والطبراني.

(٦٨) أخرجه ابن ماجه والترمذي والنسائي وابن حبان والحاكم وأبو نعيم والبيهقي.

(٦٩) أخرجه أحمد والبيهقي.

(٧٠) أخرجه أحمد والبخاري في "الأدب المفرد" والدرامي والترمذي والحاكم وأبو نعيم.

قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَنْ قَالَ فِي سُوقٍ مِنَ الْأَسْوَاقِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، بِيَدِهِ الْخَيْرُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، كَتَبَ اللَّهُ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ حَسَنَةٍ، وَمَحَا عَنْهُ أَلْفَ أَلْفِ سَيِّئَةٍ، وَبَنَى لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ». وقال الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: ذاكر اللَّه في السوق يجيء يوم القيامة وله ضوء كضوء القمر، وبرهان كبرهان الشمس، ومن استغفر اللَّه في السوق غفر اللَّه له بعدد أهلها.

وَعَنْهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أنه قال: «عَلَيْكُمْ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَالِاسْتِغْفَارِ فَأَكْثِرُوا مِنْهُمَا، فَإِنَّ إِبْلِيسَ قَالَ: أَهْلَكْتُ النَّاسَ بِالذُّنُوبِ، فَأَهْلَكُونِي بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَالِاسْتِغْفَارِ، فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ أَهْلَكْتُهُمْ بِالْأَهْوَاءِ وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ» رواه أبو يعلى عن أبي بكر عنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنِ أَكْثَرَ مِنَ الاسْتِغْفَارِ جَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا، وَمِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ» رواه أحمد والحاكم عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سَيِّدُ الِاسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ. قَالَ: مَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ» رواه البخاري وأحمد

والنسائي عن شَدَّاد بْن أَوْسٍ.

وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «اسْتَكْثِرُوا مِنْ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، فَإِنَّهَا تَدْفَعُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ بَابًا مِنَ الضُّرِّ أَدْنَاهَا الْهَمُّ» رواه العقيلي.

وعن جابر قال: «إِذَا وَقَعْتَ فِي وَرْطَةٍ فَقُلْ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَظِيمِ، فَإِنَّ اللَّهَ يَصْرِفُ بِهَا مَا شَاءَ مِنْ أَنْوَاعِ الْبَلَاءِ»[٧١]. وقال: «إِذَا وَقَعْتُمْ فِي أَمْرٍ عَظِيمٍ فَقُولُوا: حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ»[٧٢].

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَلِمَاتُ الْفَرَجِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْحَلِيمُ الْكَرِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمُ» أخرجه ابن أبي الدنيا عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

«وقيل لأبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قد احترقت الدار، وكانت النار قد وقعت في محلته، فقال: ما كان اللَّه ليفعل ذلك، فقيل له ذلك ثلاثاً، فقال: ما كان اللَّه ليفعل ذلك، ثم أتاهُ آتٍ فقال: يا أبا الدرداء إن النار حين دنت من دارك طفئت، فقال: قد علمت، فقيل له: ما ندري أيُّ قولَيْكَ أعجب؟، قال: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: مَنْ قَالَ هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ فِي لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ وَقَدْ قُلْتُهُنَّ، وَهِيَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي

(٧١) أخرجه الطبراني وابن السني والديلمي.

(٧٢) أخرجه ابن مردويه وذكره ابن كثير في "تفسيره".

لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، عَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَظِيمِ، مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا، إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»[٧٣]. ذكره في "الإحياء" وغيره.

وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «عَلَيْكُمْ بِسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ، فَإِنَّهُنَّ يَحْطُطْنَ الْخَطَايَا، كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا» رواه ابن ماجه عن أبي الدرداء.

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ هُنَّ: لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَسُبْحَانَ اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، ولَا حَوْلَ ولَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»[٧٤]. وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ أَرْبَعٌ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، لَا يَضُرُّكَ بِأَيِّهِنَّ بَدَأْتَ»[٧٥] رواه سَمُرَة بْن جُنْدَب.

وَرَوَى أَبُو مَالِكٍ الْأَشْعَرِيّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَآنِ مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا»[٧٦].

---

(٧٣) وأخرجه الطبراني والخرائطي وابن السني والبيهقي وابن عساكر.

(٧٤) أخرجه النسائي وابن حبان والحاكم.

(٧٥) أخرجه مسلم وأحمد والنسائي والطبراني والبيهقي.

(٧٦) أخرجه مسلم وأحمد والدارمي وابن ماجه والترمذي والنسائي وابن حبان والبيهقي.

وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ»(٧٧).

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يُكْتَبَ لَهُ كُلَّ يَوْمٍ أَلْفُ حَسَنَةٍ؟، فَقِيلَ: كَيْفَ ذَلِكَ؟، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يُسَبِّحُ مِائَةَ تَسْبِيحَةٍ فَيُكْتَبُ لَهُ أَلْفُ حَسَنَةٍ، وَيُمْحَى عَنْهُ أَلْفُ سَيِّئَةٍ»(٧٨).

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَاتِحَةُ الْكِتَابِ شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ»(٧٩). وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَّهَا تَعْدِلُ ثُلُثَي الْقُرْآنِ»(٨٠). وَقَالَ: «فَاتِحَةُ الْكِتَابِ تَجْزِي مَا لَا يَجْزِي شَيْءٌ مِنَ الْقُرْآنِ، وَلَوْ أَنَّ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ جُعِلَتْ فِي كِفَّةِ الْمِيزَانِ وَجُعِلَ الْقُرْآنُ فِي الْكِفَّةِ الْأُخْرَى لَفَضَلَتْ فَاتِحَةُ الْكِتَابِ عَلَى الْقُرْآنِ سَبْعَ مَرَّاتٍ»(٨١).

وَرُوِيَ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ خَادِمِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إذا قرأ المؤمن آية الكرسي وجعل ثوابها لأهل القبور، أدخل الله تعالى في كل قبر من المشرق والمغرب أربعين نورًا، ووَسَّع الله عليهم مضاجعهم، وأعطى الله للقارئ ثواب ستين نبيًّا، ورفع الله له بكل ميت درجة، وكتب له بكل ميت عشر حسنات» ذكره القرطبي في "تذكرته". وظاهره أنه ولو كان في بيته، وفضل مولانا لا

(٧٧) أخرجه البخاري ومسلم وأحمد وابن ماجه والترمذي والنسائي وابن حبان والطبراني والبيهقي.
(٧٨) أخرجه مسلم وأحمد والبزّار وأبو يعلى وابن حبان والديلمي.
(٧٩) أخرجه الدارمي والبيهقي.
(٨٠) أخرجه عبد بن حميد.
(٨١) أخرجه أبو نعيم والديلمي.

يحصر.

وَخَرَّجَ السِّلَفِيُّ وغيره من حديث علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ مَرَّ عَلَى الْمَقَابِرِ وَقَرَأَ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ إِحْدَى عَشْرَةَ مَرَّةً، ثُمَّ وَهَبَ أَجْرَهُ لِلْأَمْوَاتِ أُعْطِيَ مِنَ الْأَجْرِ بِعَدَدِ الْأَمْوَاتِ».

وَرُوِيَ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ قَرَأَ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فَكَأَنَّمَا قَرَأَ ثُلُثَ الْقُرْآنِ، وَمَنْ قَرَأَهَا مَرَّتَيْنِ فَكَأَنَّمَا قَرَأَ ثُلُثَيِ الْقُرْآنِ، وَمَنْ قَرَأَهَا ثَلَاثًا فَكَأَنَّمَا قَرَأَ الْقُرْآنَ كُلَّهُ» رواه الرافعي. وفي لفظ بدل «كُلَّهُ» «أَجْمَعَهُ»، وفي آخر: «ارْتِجَالاً»، وفي آخر: «جَمِيع مَا أَنزَل اللَّهُ».

وَقَالَ: «مَنْ قَرَأَ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ مِائَةَ أَلْفِ مَرَّةٍ فَقَدِ اشْتَرَى نَفْسَهُ مِنَ اللَّهِ»[٨٢]. ووَرَدَ: «أَنَّ مَنْ قَرَأَ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ عُدِلَتْ لَهُ رُبُع القُرْآنِ»[٨٣]، وفي رواية: «ثُلُثُهُ»، ووَرَدَ: «مَنْ قَرَأَ ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ عُدِلَتْ لَهُ نِصْف القُرْآنِ»[٨٤].

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَرَأَ يس فِي لَيْلَةٍ أَصْبَحَ مَغْفُورًا لَهُ»[٨٥]. وقال: «مَنْ قَرَأَ يس مَرَّة فَكَأَنَّمَا قَرَأَ الْقُرْآنَ مَرَّتَيْن»[٨٦]. وَقَالَ: «مَنْ قَرَأَ يس مَرَّة فَكَأَنَّمَا قَرَأَ الْقُرْآنَ عَشْرَ مَرَّاتٍ»[٨٧].

---

(٨٢) أخرجه الحسن الخلال وقال السيوطي: إبراهيم بن حمير الخارجي في "فوائده" والرافعي.

(٨٣) أخرجه أحمد والترمذي والبزّار والطبراني وابن السني والحاكم والبيهقي والخطيب والديلمي.

(٨٤) أخرجه عبد الرزَّاق وسعيد بن منصور والترمذي والحاكم والبيهقي.

(٨٥) أخرجه أبو يعلى وأبو نعيم والبيهقي.

(٨٦) أخرجه البيهقي في "شعب الإيمان".

(٨٧) أخرجه البيهقي في "شعب الإيمان".

وَقَالَ: «مَنْ قَرَأَ حم الدُّخَانَ فِي لَيْلَةٍ أَصْبَحَ يَسْتَغْفِرُ لَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ»[٨٨]. وَقَالَ: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْوَاقِعَةِ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ لَمْ تُصِبْهُ فَاقَةٌ أَبَدًا»[٨٩]. وَقَالَ: «مَنْ قَرَأَ خَوَاتِيمَ الْحَشْرِ مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ وَقُبِضَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ أَوِ اللَّيْلَةِ فَقَدْ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةَ»[٩٠].

وأخرج الشيخان وغيرهما: «مَنْ قَرَأَ الْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ، قِيلَ: مِنْ قِيَامِ تِلْكَ اللَّيْلَةِ، وَقِيلَ: كَفَتَاهُ عَنْ كُلِّ سُوءٍ». قال الشيخ أبو الحسن البكري: ورجَّح هذا كبار أهل العلم، والأول حديث الديلمي، «مَنْ قَرَأَ آخِرَ الْبَقَرَةِ أَجْزَأَتَاهُ عَن قيام تِلْكَ اللَّيْلَة». وعن عليّ: ما ظنَنتُ أن مؤمنًا بلغه فضلها فتركها. وأولهما ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ﴾[البقرة: ٢٨٥].

وذكر الفخر الرازي في "أسرار التنزيل"، والقاضي في "شرح مسلم"، في فضل قراءة ﴿شَهِدَ اللَّهُ﴾ خلق الله تعالى سبعين ألف ملك يستغفرون له إلى يوم القيامة.

وقال عمرو بن ميمون: من نشر مصحفًا حين يصلي الصبح فقرأ مائة آية رفع الله له مثل أجر جميع الخلق من أهل الدنيا. كذا في "الإحياء".

ويُروى: «أن الله تعالى أوحى إلى نبي من الأنبياء: مَنْ أتاني يوم القيامة وفي صحيفته أربعة آلاف مرة بسم الله الرحمن الرحيم، ركزت لواءه إلى قائمة من قوائم العرش، وشفَّعتهُ في اثني عشر ألف عتيق، قد استوجبوا

(٨٨) أخرجه الترمذي والبيهقي في "شعب الإيمان".
(٨٩) أخرجه أحمد وابن السني والبيهقي.
(٩٠) أخرجه ابن عدي وابن مردويه والبيهقي والخطيب.

النار، ولولا أني قضيت على كل أحد بالموت ما قبضت روحه، ولا يمنعه أن يدخل الجنة إلا أن ينزل به الموت».

وجامع الأدعية المروية قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلَكَ مِنْهُ نَبِيُّكَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا اسْتَعَاذَكَ مِنْهُ نَبِيُّكَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَنْتَ الْمُسْتَعَانُ وَعَلَيْكَ الْبَلَاغُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»[٩١]. فينبغي الدعاء به كثيرًا ليكون داعيًا بجميع المرويات، كما قال الملأ علي قاري.

وذكر سيدي ابن عطاء اللَّه رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى في كتابه "مفتاح الفلاح" حديثاً: «أن مَنْ قال بعد ما يصلي الجمعة: سبحان اللَّه العظيم وبحمده مائة مرة، غفر اللَّه له مائة ألف ذنب، ولوالديه أربعة وعشرين ألف ذنب».

وأخرج أحمد بن حنبل والترمذي والحاكم عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَلَا أعلّمُكَ كَلِماتٍ لوْ كانَ عليْكَ مِثْلُ جَبَلِ صَبِيرٍ دَيْنًا أَدَّاهُ اللَّه عنكَ؟ قُلِ: اللَّهُمَّ اكفِنِي بِحَلالِكَ عَنْ حَرَامِكَ، وأَغْنِنِي بِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ».

وكان الحسن بن عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عطاؤه في كل سنة مائة ألف، فحبسها عنه معاوية عامًا فضاق، فدعا بدواة ليكتب لمعاوية، ثم أمسك فرأى المُصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فشكى إليه فقال: «أدعوت بدواة لتكتب إلى مخلوق مثلك؟، قُلِ: اللَّهُمَّ اقذف في قلبي رجاءك، واقطع رجائي عمن سواك، حتى لا أرجو أحدًا غيرك، اللَّهُمَّ ما ضعفت عنه قوتي

(٩١) أخرجه الترمذي.

وقصَّر عنه أملي ولم تنته إليه رغبتي، ولم تبلغه مسألتي، ولم يجرِ على لساني مما أعطيت أحدًا من الأولين والآخرين من اليقين، فخصَّني به يا رب العالمين»، فما ألحَّ به أسبوعًا حتى أتاه ألف ألف وخمسمائة ألف، كذا في "طبقات المناوي".

وللشيخ العارف باللَّه سيدي محمد الغَزَّالي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى قال: دعاءٌ عجيبُ الشأن جرَّبهُ أهل العرفان عند حلول الفاقة، ذكرهُ في "الإحياء" وهو: اللَّهُمَّ يا غني يا حميد يا مبدئ يا معيد يا رحيم يا ودود، اغنني بحلالك عن حرامك، وبطاعتك عن معصيتك، وبفضلك عمن سواك. قال: مَنْ ذكره بعد صلاة الجمعة وداومَ عليه أغناه اللَّه عن خلقه ورزقه من حيث لا يحتسب.

وله قصيدةٌ جليلة الفرائد عظيمة المقاصد، ذكر فيها أسرارًا جمَّة للفاتحة، فمنها:

إذا ما كنت ملتمسًا لرزقٍ ... ونيل القصد من عبد وحر

وتظفر بالذي ترجو سريعًا ... وتأمن من مخالفة وغدر

ففاتحة الكتاب فإن فيها ... لما أمَّلت سرًّا أيَّ سِرِّ

تلازم درسها عقب العشا ... وفي صبح وفي ظهر وعصر

وعقبى مغرب في كل ليل ... إلى التسعين تتبعها بعشر

تنل ما شئت من عزٍّ وجاه ... وعظم مهابة وعلو قدر

وستر لا تغيِّرهُ الليالي ... بحادثة من النقصان تجري

وتوفيق وأفراح دوامًا ... وتأمن من مخاوف كل شر

ومـــن عـــرى وجـــوع وانقطـــاع ومـــن بطـــش لـــذي نهـــي وأمـــر
فإنـــك إن فعلـــت أتـــاك آتٍ بمـــا يغنيـــك عـــن زيـــد وعمـــرو

وبيان ذلك أنها تقرأ في الصبح إحدى وعشرين، وفي الظهر اثنين وعشرين، وعقب العصر ثلاثًا وعشرين، وعقب المغرب أربعة وعشرين، فذلك تسعون، وبعد العشاء عشرًا، وتمَّ بها مائة.

ولسيدي سهل بن عبد الله التستري رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ذكرٌ عظيمٌ جرَّبهُ أهل العرفان، قال ابن عربي: دخلتُ به الخلوة ففتح لى به في ليلة واحدة، وفيه أسرار عجيبة وأذواق غريبة، ومن أكثر ذكره حُبِّبت إليه الطاعات، وبُغِّضت إليه المنكرات، قال بعضهم: ومَنْ تعلَّق به لم يعجزه شيء من الموجودات، ومَنْ ذكره كل ليلة سبع مرات وهو في فراشه وَجَدَ حلاوة في سِرِّه، وهو هذا: اللَّهُ مَعِي اللَّهُ نَاظِرٌ إِلَيَّ اللَّهُ شَاهِدٌ عَلَيَّ.

وقال صالح بن المري: إن أردت أن يستجاب لك فقل: اللَّهُمَّ إني أسألك باسمك المخزون المكنون المبارك الطاهر المُطهَّر المُقدَّس، فما دعوت به إلا أجبت.

ومن الأدعية الجليلة الشأن دعاء الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو: يا مَنْ لا يشغله شأنٌ عن شأن، ولا سمعٌ عن سمع، ولا تشتبه عليه الأصوات، يا مَنْ لا تغلطه كثرة المسائل، ولا تختلف عليه اللغات، يا مَنْ لا يبرمه إلحاح المُلحِّين، ولا تضجره كثرة السائلين، أذقنا برد عفوك وحلاوة مغفرتك، يا أرحم الراحمين».

وقال بعض الفضلاء: مَنْ توسَّل إلى اللَّه سبحانه وتعالى بهذه السادة في قضاء حاجته أو دفع كربته، فإن اللَّه سبحانه يقضي حاجته وينفِّس كربته، قال: وقد جُرِّب ذلك وهم: سعيد بن المسيب، وصفوان بن سليم، ومحمد بن المنكدر، وفضيل بن عياض، ووهيب، وطاووس، ووهب، والربيع بن خيثم، والحكم بن سليم، وأبو سليمان الداراني، وأبو جابر، وأبو سليمان التيمي، ومالك بن دينار، ويزيد الرقاشي، وحبيب العجمي، ويحيى البكار، وكهمس، ورابعة العدوية.

قال: ووجدتُ في كتابٍ: الزُهَّاد الثمانية مَنْ ذكرهم غُفرت ذنوبه، ومَنْ ذكرهم عند نومه حُشِر معهم يوم القيامة، ومَنْ ذكرهم على وجع به أو بغيره بُرِيء بإذن اللَّه تعالى وهم: الحسن بن أبي الحسن البصري، وهرم بن حيان، والربيع بن خيثم، والأسود بن يزيد، وعامر بن عبد الرحمن بن عبد قيس، ومسروق بن الأجذع، وأبو مسلم الخولاني، وأويس القرني. كذا ذكره التلمساني في "حاشيته على الشفاء".

وهذه فائدةٌ جليلةٌ:

تُكتب في إناءٍ وتمحى بالماء ويُغسل بها العينين فإنه يأمن من العمى، وإن شرب الماء لم تقع من شاربه معصية، وهي أسماء ثمانية من أصحاب رسول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهم: معاذ بن جبل، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وتميم الداري، وزيد بن ثابت، وَأُبَيّ بن كعب، وعبد الرحمن بن عوف، والزبير بن العوام، رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ أجمعين.

ومَنْ كتَبَ أسماء الفقهاء السبعة المدنيين، وجعلها في حَبّ لم يسوس، ولو علقها من به صداع، زال عنه بإذن اللَّه تعالى، وهي منظومة في هذين البيتَيْن:

ألا كل من لا يقتدي بأئمة فقسمته ضيزى عن الحق خارجه
فخذهم عُبَيْد اللَّه عروة قاسم سعيد أبو بكر سليمان خارجه

قال البوني العارف في "شمس المعارف": وذكر بعضهم أنَّ مَنْ كتَبَ: مُحمَّدٌ رسولُ اللَّه أحمدُ رسولُ اللَّه، خمسة وثلاثين مَرَّة بعد صلاة الجمعة، وحملها معه، رزقهُ اللَّه قوة على الطاعة ومعونة على البركة، وكفاه همزات الشياطين اهـ. ثم قال بعد ذلك: وذلك بحسب القبول وعقد النية وصفاء الباطن.

وفي حديثٍ مرفوعٍ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ثَمَانِينَ مَرَّةً غُفِرَتْ لَهُ ذُنُوبُ ثَمَانِينَ سَنَةٍ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ الصَّلَاةُ عَلَيْكَ؟، قَالَ: تَقُولُ: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ، وَتَعْقِدُ وَاحِدَةً»[٩٢].

وَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَنْ صَلَّى عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهَذِهِ الكَلِمَات فَقَدْ صَلَّى عَلَيْهِ بِصَلَاةِ جَمِيعِ الْخَلَائِقِ، قَالَ: يَقُولُ: صَلَوَاتُ اللَّهِ تَعَالَى وَمَلَائِكَتِهِ وَأَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ وَجَمِيعِ خَلْقِهِ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ»[٩٣].

---

(٩٢) أخرجه الدارقطني والخطيب.

(٩٣) ذُكِر في "المُنْتَخَبِ من كتاب الثَّواب" لأَبي الشيخ، و"الترغيب" لأَبي موسى المديني.

وَقَالَ: «مَنْ صَلَّى عَلَيْهِ كُلّ يَوْمٍ ثَلَاث مَرَّاتٍ، وَيَوْم الْجُمُعَة مِائَة مَرَّة، حَشَرهُ اللَّه تَعَالَى يَوْم القِيَامَة فِي زُمْرَة رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ حَتَّى يُدْخِلهُ الْجَنَّة»[٩٤].

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «مَنْ قَالَ لَيْلَة الجُمُعَة عَشْر مَرَّات: اللَّهُمَّ يَا دَائِمَ الْفَضْلِ عَلَى البَرِيَّةِ، يَا بَاسِطَ اليَدَيْنِ بِالْعَطِيَّةِ، يَا صَاحِبَ المَوَاهِبِ السَّنِيَّةِ، صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمّدٍ خَيْرِ الوَرَى بِالسَجِيَّة، وَاغْفِرْ لَنَا يَا ذَا العُلَى فِي هَذِهِ الْعَشِيَّةِ، كَتَبَ اللَّهُ لَهُ مِائَةَ أَلْفِ أَلْف حَسَنَةٍ، وَمَحَى عَنْهُ مِائَةَ أَلْفِ أَلْف سَيِّئَةٍ، وَرَفَعَ لَهُ مِائَةَ أَلْفِ أَلْف دَرَجَةٍ، وَإِذَا كَانَ يَوْم الْقِيَامَة زَاحَمَ إِبْرَاهِيم الْخَلِيل عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قُبَّتِهِ»[٩٥].

وذكر صاحب "القاموس" في كتاب "الصَّلاة والبِشْر" حديثًا مُسندًا عن الخضر وإلياس عَلَيْهِمَا السَّلَامُ قالا: «سمعنا النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: إذا جلستم مجلسًا فقولوا: بسم اللَّه الرحمن الرحيم وصلَّى اللَّه على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم أجمعين، يوكِّل اللَّه لكم مَلَكًا يمنعكم من الغيبة حتى لا تغتابوا أحدًا، فإذا قمتم فقولوا: بسم اللَّه الرحمن الرحيم وصلَّى اللَّه على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّمَ أجمعين، فإن الناس لا يغتابونكم، وينهاهم المَلَك عن ذلك» كذا في "فوائد الشَّرْجِيّ".

---

(٩٤) المصدر السابق نفسه.

(٩٥) ذكره السخاوي في "القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع".

ومَنْ أراد أن يأمن وسوسة الشيطان فليقرأ عقب كل صلاة مكتوبة سبع مرات: سبحان اللَّه الملك الخلَّاق ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾[إبراهيم: ١٩-٢٠]، وإن أضاف عليها: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾السورة كان أجود.

وعن أبي بكر الكناني قَال: رأيتُ المُصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقلت: ادعُ اللَّه لي لا يميت قلبي، فقال: قُلْ كل يوم أربعين مَرَّة يا حَيُّ يا قَيُّوم لَا إِلَه إِلَّا أنت اهـ. ووقَّتها بعضهم بما بين فرض الصبح وسُنَّتِهِ.

وذكر السُّيُوطِيّ: أنَّ مَنْ ذكر هذه الصلاة ليلة الجمعة ولو مَرَّة ولازمَ عليها لم يلحده في قبره إلا المُصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهي: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الْحَبِيبِ الْعَالِي الْقَدْر الْعَظِيم الْجَاه وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

ونُقِل عن الأُستاذ البكري رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى أنه قال: مَنْ ذكر هذه الصلاة في عمره ولو مَرَّة واحدة ودخل النار يقبضني بين يدي اللَّه تعالى، وهي هذه: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الفَاتِحِ لِمَا أُغْلِقَ، وَالخَاتِمِ لِمَا سَبَقَ، وَالنَّاصِرِ الْحَقّ بِالحَقّ، وَالهَادِي إِلَى صِرَاطِكَ المُسْتَقِيمُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ، حَقَّ قَدْرِهِ وَمِقْدَارِهِ العَظِيم.

وهذه فائدةٌ جليلةٌ لا توجد إلا في كُتُبٍ قليلةٍ:

عن سيدي عبد الوهَّاب الشعراني عن سيدي عليّ الخوَّاص عن سيدنا داود عَلَى نَبِيِّنَا وعَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ قَالَ كُلّ يَوْم ثَلَاث مَرَّاتٍ صَبَاحًا وَمَسَاءً: سُبْحَانَ الدَّائِمَ القَائِمِ، سُبْحَانَ القَائِمِ الدَّائِمِ، سُبْحَانَ

الحَيِّ القَيُّومِ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ العَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ المَلِكِ القُدُّوسِ، سُبْحَانَ رَبِّ المَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ، فَإِنَّهُ يَمُوتُ عَلَى الْإِسْلَامِ مِنْ غَيْرِ شَكٍّ وَلَا تَرَدُّدٍ وَلَا تَوَقُّفٍ».

وهذه وصيةٌ نافعةٌ إن شاء الله تعالى:

قال الفاكهي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى في "خلاصة التحصين" وفي ترجمة عثمان بن عيسى الباقلاني الزاهد عن حبيب العَطَّار قال: «أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْعُلَمَاءِ قَالَ: كَتَبْتُ أَرْبَعَمِائَةِ أَلْفِ حَدِيثٍ مَا انْتَفَعْتُ مِنْهَا إِلَّا بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، مِنْ أَرْبَعَةِ أَحَادِيثَ: الْكَلِمَةُ الْأُولَى: اعْمَلْ لِلَّهِ عَلَى قَدْرِ حَاجَتِكَ إِلَيْهِ. الثَّانِيَةُ: اعْمَلْ لِلآخِرَةِ عَلَى قَدْرِ إِقَامَتِكَ فِيهَا. الثَّالِثَةُ: اعْمَلْ لِلدُّنْيَا بِقَدْرِ الْقُوتِ. الرَّابِعَةُ: اعْصِ رَبَّكَ عَلَى قَدْرِ جَلَدِكَ عَلَى النَّارِ»، وكأنه إلى نحو هذا أشار بعض العلماء بقوله:

والعلم يجمع من حديثك أربعًا فاستنبطت أحكامها العلماءُ

وَعَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «كُنْتُ خَلْفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَأَنْ اجْتَمَعُوا أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَسَنٌ صَحِيحٌ.

وَفِي رِوَايَةٍ غَيْرِهِ: «احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ، تَعَرَّفْ إِلَى اللَّهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ، وَاعْلَمْ أَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا»[٩٦]. وفي روايةٍ: «كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهِنَّ»[٩٧].

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَوْثَقَ الْعُرَى كَلِمَةُ التَّقْوَى، وَخَيْرَ الْمِلَلِ مِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ، وَخَيْرَ السُّنَنِ سُنَّةُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَشْرَفَ الْحَدِيثِ ذِكْرُ اللَّهِ، وَأَحْسَنَ الْقَصَصِ هَذَا الْقُرْآنُ، وَخَيْرَ الْأُمُورِ عَوَازِمُهَا، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ الْأَنْبِيَاءِ، وَأَشْرَفَ الْمَوْتِ قَتْلُ الشُّهَدَاءِ، وَأَعْمَى الْعَمَى الضَّلَالَةُ بَعْدَ الْهُدَى، وَخَيْرَ العَملِ مَا نَفَعَ، وَخَيْرَ الْهُدَى مَا اتُّبِعَ، وَشَرَّ الْعَمَى عَمَى الْقَلْبِ، وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى، وَمَا قَلَّ وَكَفَى خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ وَأَلْهَى، وَشَرُّ الْمَعْذِرَةِ حِينَ يَحْضُرُ الْمَوْتُ، وَشَرُّ النَّدَامَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمِنَ النَّاسِ مَنْ لَا يَأْتِي الْجُمُعَةَ إِلَّا دُبُرًا، وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يَذْكُرُ اللَّهَ إِلَّا هُجْرًا، وَأَعْظَمِ الْخَطَايَا اللِّسَانُ الْكَذُوبُ، وَخَيْرُ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ، وَخَيْرُ الزَّادِ التَّقْوَى، وَرَأْسُ الْحِكْمَةِ مَخَافَةُ اللَّهِ، وَخَيْرُ مَا وَقَرَ فِي الْقُلُوبِ الْيَقِينُ، وَالِارْتِيَابُ مِنَ الْكُفْرِ، وَالنِّيَاحَةُ مِنْ عَمَلِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَالْغُلُولُ مِنْ حَثَى جَهَنَّمَ، وَالْكَنْزُ كَيٌّ مِنَ النَّارِ، وَالشِّعْرُ مِنْ مَزَامِيرِ إِبْلِيسَ، وَالْخَمْرُ جِمَاعُ الْإِثْمِ، وَالنِّسَاءُ حَبَائِلُ الشَّيْطَانِ، وَالشَّبَابُ شُعْلَةٌ مِنَ الْجُنُونِ، وَشَرُّ

(٩٦) أخرجه أحمد والطبراني وابن السني والحاكم والخطيب.

(٩٧) أخرجه أحمد والطبراني وأبو نعيم والبيهقي.

الْمَكَاسِبِ كَسْبُ الرِّبَا، وَشَرُّ الْمَأْكَلِ مَالُ الْيَتِيمِ، وَالسَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ، وَالشَّقِيُّ مَنْ شَقِيَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ، وَإِنَّمَا يَصِيرُ أَحَدُكُمْ إِلَى مَوْضِعِ أَرْبَعَةِ أَذْرُعٍ، وَالْأَمْرُ إِلَى الْآخِرَةِ، وَمَلَاكُ الْعَمَلِ خَوَاتِمُهُ، وَشَرُّ الرَّوَايَا رَوَايَا الْكَذِبِ، وَكُلُّ مَا هُوَ آتٍ قَرِيبٌ، وَسِبَابُ الْمُؤْمِنِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ، وَأَكْلُ لَحْمِهِ مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ، وَحُرْمَةُ مَالِهِ كَحُرْمَةِ دَمِهِ، وَمَنْ يَتَأَلَّ عَلَى اللَّهِ يُكَذِّبْهُ، وَمَنْ يَغْفِرْ يُغْفَرْ لَهُ، وَمَنْ يَعْفُ يَعْفُ اللَّهُ عَنْهُ، وَمَنْ يَكْظِمِ الْغَيْظَ يَأْجُرْهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَصْبِرْ عَلَى الرَّزِيَّةِ يُعَوِّضْهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَبْتَغِ السُّمْعَةَ يُسَمِّعِ اللَّهُ بِهِ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُضْعِفِ اللَّهُ لَهُ، وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ يُعَذِّبْهُ اللَّهُ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَلِأُمَّتِي، اللَّهُمَّ اغفِرْ لِي وَلِأُمَّتِي، اللَّهُمَّ اغْفِر لِي وَلِأُمَّتِي، أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ» رواه البيهقي في "الدلائل" وابن عساكر عن عقبة بن عامر الجهني، وأبو نصر السجزي في "الإبانة" عن أبي الدرداء، وابن أبي شيبة عن ابن مسعود موقوفًا.

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَا اسْتَطَعْتَ، وَاذْكُرِ اللَّهَ عِنْدَ كُلِّ حَجَرٍ وَشَجَرٍ، وَإِذَا عَمِلْتَ سَيِّئَةً فَأَحْدِثْ عِنْدَهَا تَوْبَةً: السِّرُّ بِالسِّرِّ وَالْعَلَانِيَةُ بِالْعَلَانِيَةِ»[٩٨]. وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ، وَعُدَّ نَفْسَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ». وَقَالَ: «كُونُوا فِي الدُّنْيَا أَضْيَافًا، وَاتَّخِذُوا الْمَسَاجِدَ بُيُوتًا، وَعَوِّدُوا أَنْفُسَكُمُ الرِّقَّةَ، وَأَكْثِرُوا التَّفَكُّرَ وَالْبُكَاءَ، لَا تَخْتَلِفَنَّ بِكُمُ الْأَهْوَاءُ، تَبْنُونَ مَا لَا تَسْكُنُونَ، وَتَجْمَعُونَ مَا لَا تَأْكُلُونَ، وَتَأْمُلُونَ مَا لَا

(٩٨) أخرجه أحمد والطبراني وأبو نعيم والبيهقي والخطيب.

تُدْرِكُونَ»[٩٩].

وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «كُنْ وَرِعًا تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ، وَكُنْ قَنِعًا تَكُنْ أَشْكَرَ النَّاسِ، وَأَحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُؤْمِنًا، وَأَحْسِنْ مُجَاوَرَةَ مَنْ جَاوَرَكَ تَكُنْ مُسْلِمًا، وَأَقِلَّ الضَّحِكَ فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ الْقَلْبَ»[١٠٠].

وَعَنْهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «عَلَيْكَ بِالْإِيَاسِ مِمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ، وَإِيَّاكَ وَالطَّمَعَ فَإِنَّهُ الْفَقْرُ الْحَاضِرُ، وَصَلِّ صَلَاتَكَ وَأَنْتَ مُوَدِّعٌ، وَإِيَّاكَ مِمَّا يُعْتَذَرُ مِنْهُ»[١٠١]. وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللَّهُ، وَازْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبُّكَ النَّاسُ»[١٠٢]. وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «عَلَيْكَ بِحُسْنِ الْخُلُقِ، فَإِنَّ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا أَحْسَنُهُمْ دِينًا»[١٠٣]. وَقَالَ: «عَلَيْكَ بِحُسْنِ الْخُلُقِ وَطُولِ الصَّمْتِ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا تَجَمَّلَ الْخَلَائِقُ بِمِثْلِهِمَا»[١٠٤].

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ فَإِنَّهُ مَعَ الْبِرِّ، وَهُمَا فِي الْجَنَّةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ فَإِنَّهُ مَعَ الْفُجُورِ، وَهُمَا فِي النَّارِ، وَاسْأَلُوا اللَّهَ الْيَقِينَ وَالْمُعَافَاةَ، فَإِنَّهُ لَمْ يُعْطَ أَحَدٌ مثل الْيَقِين خَيْر مِنَ الْمُعَافَاةِ، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَقَاطَعُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا كَمَا أَمَرَكُمْ

---

(٩٩) أخرجه أبو نعيم والقضاعي والديلمي.

(١٠٠) أخرجه ابن ماجه والترمذي وأبو يعلى والطبراني وأبو نعيم والبيهقي.

(١٠١) أخرجه ابْن مَاجَه والحاكم وأبو نعيم.

(١٠٢) أخرجه ابن ماجه والطبراني والحاكم وأبو نعيم والبيهقي.

(١٠٣) أخرجه أحمد والطبراني.

(١٠٤) أخرجه ابن أبي عاصم وأبو يعلى والطبراني.

اللَّهُ»[١٠٥].

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ فَإِنَّهُ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا»[١٠٦].

والصدق رأس كل الأمور وركنها الأعظم، ولذا قال سيدي ذو النون المصري رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: إن لله تعالى في عباده سيفًا ما وُضِع على شيءٍ إلا قطع، ألا وهو الصدق.

وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا لِغَيْرِ اللَّهِ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»[١٠٧]. وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ تَزَيَّنَ بِعَمَلِ الْآخِرَةِ وَهُوَ لَا يُرِيدُهَا وَلَا يَطْلُبُهَا، لُعِنَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرَضِ»[١٠٨]. وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ رَفَعَهُ اللَّهُ»[١٠٩].

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ فَإِنَّهُ دَأْبُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ، وَإِنَّ قِيَامَ اللَّيْلِ قُرْبَةٌ إِلَى اللَّهِ، وَمَنْهَاةٌ عَنْ الإِثْمِ، وَتَكْفِيرٌ لِلسَّيِّئَاتِ، وَمَطْرَدَةٌ لِلدَّاءِ عَنِ الجَسَدِ»[١١٠]. وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَلَيْكُمْ بِرَكْعَتَيْ

---

(١٠٥) أخرجه أحمد والبخاري في "الأدب" والنسائي وابن ماجه وأبو يعلى وابن حبان، والحاكم والبيهقي.

(١٠٦) أخرجه مسلم وأحمد وأبو داود والترمذي والبيهقي.

(١٠٧) أخرجه الترمذي والنسائي.

(١٠٨) أخرجه الطبراني في "المعجم الأوسط".

(١٠٩) أخرجه أحمد وأبو يعلى والطبراني وأبو نعيم والبيهقي والخطيب.

(١١٠) أخرجه الترمذي والبيهقي.

الضُّحَى، فَإِنَّ فِيهِمَا الرَّغَائِب»[١١١]. وَقِيلَ: «مَنْ صَلَّى الضُّحَى أَرْبَعًا بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ». وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ صَلَّى الضُّحَى ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً، بَنَى اللَّهُ لَهُ قَصْرًا فِي الْجَنَّةِ مِنْ ذَهَبٍ»[١١٢].

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ صَلَّى سِتَّ رَكَعَاتٍ بَعْدَ الْمَغْرِبِ قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ ذُنُوب خَمْسِينَ سَنَةً»[١١٣]. وفي روايةٍ: «مَنْ صَلَّى بَعْدَ الْمَغْرِبِ سِتَّ رَكعَاتٍ لَمْ يَتَكَلَّمْ فِيهِنَّ بِسُوءٍ عُدِلْنَ لَهُ بِعِبَادَةِ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً»[١١٤].

وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «مَنْ صَامَ يَوْمًا تَطَوُّعًا لَمْ يَطَّلِعْ عَلَيْهِ أَحَدٌ، لَمْ يَرْضَ اللَّهُ لَهُ بِثَوَابٍ دُونَ الجَنَّةِ»[١١٥]. وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ صَامَ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ فَقَدْ صَامَ الدَّهرَ»[١١٦]. وفي روايةٍ: «وَهِيَ أَيَّامُ الْبِيضِ»، أَيْ: صبيحة ثلاث عشرة وأربع عشرة وخمس عشرة.

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ حَجَّ هَذَا الْبَيْتَ وَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ كَانَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»[١١٧]. وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَصَدَّقُوا فَإِنَّ الصَّدَقَةَ فِكَاكُكُمْ مِنَ النَّارِ»[١١٨]. وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَصَدَّقُوا وَلَوْ بِتَمْرَةٍ،

---

(١١١) أخرجه الخطيب في "تاريخه".

(١١٢) أخرجه ابن شاهين والطبراني والبيهقي

(١١٣) أخرجه ابن ماجه والترمذي والطبراني.

(١١٤) أخرجه ابن شاهين.

(١١٥) أخرجه ابن ماجه والترمذي والطبراني

(١١٦) أخرجه أحمد وابن ماجه والترمذي والبزَّار والنسائي وأبو يعلى والطبراني والبيهقي.

(١١٧) أخرجه البخاري وأحمد والنسائي وأبو نعيم والبيهقي.

(١١٨) أخرجه الطبراني وأبو نعيم والبيهقي وابن عساكر.

فَإِنَّهَا تَسُدُّ مِنَ الْجَائِعِ، وَتُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ»[١١٩]. وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الصَّدَقَةُ تَسُدُّ سَبْعِينَ بَابًا مِنَ السُّوءِ»[١٢٠]. وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الصَّدَقَةُ تَمْنَعُ سَبْعِينَ نَوْعًا مِنَ الْبَلَاءِ، أَهْوَنُهَا الْجُذَامُ وَالْبَرَصُ»[١٢١]. وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الصَّدَقَةُ تَمْنَعُ مِيتَةَ السُّوءِ»[١٢٢].

وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «عَلَيْكُمْ بِالْقُرْآنِ فَاتَّخِذُوهُ إِمَامًا وَقَائِدًا، فَإِنَّهُ كَلَامُ رَبِّ الْعَالَمِينَ الَّذِي هُوَ مِنْهُ وَإِلَيْهِ يَعُودُ، فَآمِنُوا بِمُتَشَابِهِهِ وَاعْتَبِرُوا بِأَمْثَالِهِ»[١٢٣]. وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اقْرَءُوا الْقُرْآنَ وَاعْمَلُوا بِهِ، وَلَا تَجْفُوا عَنْهُ، وَلَا تَغْلُوا فِيهِ، وَلَا تَأْكُلُوا بِهِ، وَلَا تَسْتَكْثِرُوا بِهِ»[١٢٤]. وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُعَذِّبُ عَبْدًا وَعَى الْقُرْآنَ»[١٢٥].

ويجمع سائر الشريعة والحقيقة هذان البيتان[١٢٦]:

أَعْطِ الْمَعِيَّةَ حَقَّهَا ... وَالْزَمْ لَهُ حُسْنَ الْأَدَبْ

وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ عَبْدُهُ ... فِي كُلِّ حَالٍ وَهْوَ رَبْ

وأصل ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ﴾[النساء: ١٣١]. وقوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ

(١١٩) أخرجه ابن المبارك وأحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه.

(١٢٠) أخرجه الطبراني والديلمي.

(١٢١) أخرجه الخطيب.

(١٢٢) قال السيوطي: أخرجه ابن زنجويه والقضاعي.

(١٢٣) أخرجه الحاكم والديلمي.

(١٢٤) أخرجه أحمد والبخاري في "الأدب المفرد" وأبو داود والترمذي وابن ماجه والطبراني والبيهقي.

(١٢٥) أخرجه ابن أبي شيبة والدارمي وابن عساكر والديلمي.

(١٢٦) البيتان لعمر بن عبد الله بن أحمد بامخرمة.

أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾[الشورى: ١٣]. ولا يحصل ذلك إلا بتوفيق الله ورعايته.

وأقولُ كما قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِكَ تَهْدِي بِهَا قَلْبِي، وَتَجْمَعُ بِهَا أَمْرِي، وَتَلُمُّ بِهَا شَعَثِي، وَتُصْلِحُ بِهَا غَائِبِي، وَتَرْفَعُ بِهَا شَاهِدِي، وَتُزَكِّي بِهَا عَمَلِي، وَتُلْهِمُنِي بِهَا رُشْدِي، وَتَرُدُّ بِهَا أُلْفَتِي، وَتَعْصِمُنِي بِهَا مِنْ كُلِّ سُوءٍ.

اللَّهُمَّ أَعْطِنِي إِيمَانًا وَيَقِينًا لَيْسَ بَعْدَهُ كُفْرٌ، وَرَحْمَةً أَنَالُ بِهَا شَرَفَ كَرَامَتِكَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الفَوْزَ فِي الْقَضَاءِ، وَنُزُلَ الشُّهَدَاءِ، وَعَيْشَ السُّعَدَاءِ، وَالنَّصْرَ عَلَى الأَعْدَاءِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أُنْزِلُ بِكَ حَاجَتِي، وَإِنْ قَصُرَ رَأْيِي وَضَعُفَ عَمَلِي، افْتَقَرْتُ إِلَى رَحْمَتِكَ، فَأَسْأَلُكَ يَا قَاضِيَ الأُمُورِ، وَيَا شَافِيَ الصُّدُورِ، كَمَا تُجِيرُ بَيْنَ البُحُورِ أَنْ تُجِيرَنِي مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ، وَمِنْ دَعْوَةِ الثُّبُورِ، وَمِنْ فِتْنَةِ القُبُورِ، اللَّهُمَّ مَا قَصُرَ عَنْهُ رَأْيِي وَلَمْ تَبْلُغْهُ نِيَّتِي وَلَمْ تَبْلُغْهُ مَسْأَلَتِي مِنْ خَيْرٍ وَعَدْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ خَيْرٍ أَنْتَ مُعْطِيهِ أَحَدًا مِنْ عِبَادِكَ، فَإِنِّي أَرْغَبُ إِلَيْكَ فِيهِ، وَأَسْأَلُكَهُ بِرَحْمَتِكَ رَبَّ العَالَمِينَ.

اللَّهُمَّ ذَا الحَبْلِ الشَّدِيدِ، وَالأَمْرِ الرَّشِيدِ، أَسْأَلُكَ الأَمْنَ يَوْمَ الوَعِيدِ، وَالجَنَّةَ يَوْمَ الخُلُودِ، مَعَ المُقَرَّبِينَ الشُّهُودِ الرُّكَّعِ السُّجُودِ، وَالمُوفِينَ بِالعُهُودِ إِنَّكَ رَحِيمٌ وَدُودٌ، وإِنَّكَ تَفْعَلُ مَا تُرِيدُ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا هَادِينَ مُهْتَدِينَ غَيْرَ ضَالِّينَ وَلَا مُضِلِّينَ، سِلْمًا لِأَوْلِيَائِكَ، وَعَدُوًّا لِأَعْدَائِكَ، نُحِبُّ بِحُبِّكَ مَنْ أَحَبَّكَ، وَنُعَادِي بِعَدَاوَتِكَ مَنْ خَالَفَكَ،

اللَّهُمَّ هَذَا الدُّعَاءُ وَعَلَيْكَ الإِجَابَةُ، وَهَذَا الجُهْدُ وَعَلَيْكَ التُّكْلَانُ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ لِي نُورًا فِي قَلْبِي، وَنُورًا فِي قَبْرِي، وَنُورًا مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ، وَنُورًا مِنْ خَلْفِي، وَنُورًا عَنْ يَمِينِي، وَنُورًا عَنْ شِمَالِي، وَنُورًا مِنْ فَوْقِي، وَنُورًا مِنْ تَحْتِي، وَنُورًا فِي سَمْعِي، وَنُورًا فِي بَصَرِي، وَنُورًا فِي شَعْرِي، وَنُورًا فِي بَشَرِي، وَنُورًا فِي لَحْمِي، وَنُورًا فِي دَمِي، وَنُورًا فِي عِظَامِي، اللَّهُمَّ أَعْظِمْ لِي نُورًا، وَأَعْطِنِي نُورًا، وَاجْعَلْ لِي نُورًا.

سُبْحَانَ الَّذِي تَعَطَّفَ بِالعِزِّ وَقَالَ بِهِ، سُبْحَانَ الَّذِي لَبِسَ المَجْدَ وَتَكَرَّمَ بِهِ، سُبْحَانَ الَّذِي لَا يَنْبَغِي التَّسْبِيحُ إِلَّا لَهُ، سُبْحَانَ ذِي الفَضْلِ وَالنِّعَمِ، سُبْحَانَ ذِي المَجْدِ وَالكَرَمِ، سُبْحَانَ ذِي الجَلَالِ وَالإِكْرَامِ» رواه الترمذي ومحمد بن نصر في "الصلاة"، والطبراني، والبيهقي في "الدعوات"، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما.

هذا وأختمُ ذلك بما روته أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا جَلَسَ مَجْلِسًا أَوْ صَلَّى تَكَلَّمَ بِكَلِمَاتٍ، فَسَأَلْتُهُ عَنِ ذَلِكَ فَقَالَ: إِنْ تَكَلَّمَ بِخَيْرٍ كَانَ طَابِعًا -يَعْنِي خَاتِمًا- عَلَيْهِنَّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَإِنْ تَكَلَّمَ بِغَيْرِ ذَلِكَ كَانَ كَفَّارَةً لَهُ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ»[١٢٧].

وَرَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِلَفْظٍ: «مَنْ جَلَسَ فِي مَجْلِسٍ فَكَثُرَ فِيهِ لَغَطُهُ، فَقَالَ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ مِنْ مَجْلِسِهِ ذَلِكَ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ، إِلَّا غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا كَانَ فِي مَجْلِسِهِ

(١٢٧) أخرجه أحمد والنسائي والحاكم والبيهقي.

ذَلِكَ» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: صَحِيحٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ. وروى نحوه أبو داود عَنْ أَبِي بَرْزَةَ، والنسائي في "عمل اليوم والليلة"، وابن حبان في "صحيحه"، والطبراني في "الدعاء"، والحاكم في "المستدرك" وصحَّحهُ.

يقول أفقر الورى عبد اللَّه بن إبراهيم بن حسن ميرغني، عامَلَ اللَّهُ الكل بفيضه الهني: وبهذا انتهى المجلس في الكلام على الصلاة المشيشيَّة، في فناء الحضرة العباسيَّة، عليها وعلى ابن عمها ألف كَرَّات صَلَاةٍ مَعَ سَلَامٍ وَتَحِيَّة. وذلك يوم الجمعة عشرين من جُمَادى الأولى سنة ألف ومائة وواحد وخمسين [١١٥١هـ]، وإني من المُلتجئين إلى اللَّه، والطالبين لوجه اللَّه، ولا حول ولا قوَّة إلا باللَّه العلي العظيم. والصَّلَاةُ والسَّلَامُ على نبيه الكريم، وعلى إخوانه الأنبياء والملائكة وآلهم وصحبهم أجمعين، والحمدُ للَّه رب العالمين.